رواية
رَمَادٌ أَحمَرُ
عبير ضاهر
المكتبة العربية للنشر والتوزيع

رماد أحمر

(رواية)

عبير ضاهر

إهداء

الى القلوب القادرة على الحب وإن لاقت

من جحود وجروح وخيبات وخذلان

"الحياة غفوة والحب حلم ونحن لانعيش حقا إلا إذا احببنا"

"الفريد دى موسيه"

عثرت علىّ وهى تفتش عن حقها المسلوب في صك التعاسة ردت علينّا منها حظنا المقسوم

إنها تحدق بىّ .. أهرب بنظرى من جانب أجدها مستقرة بالأخر تطل عليّ من كل الأنحاء أخفى وجهى تسقط من أعلي رأسي علي أكتافى

تلتصق بثوبي وترقد بالأعلي في مكانها فوق صدري ثقيلة لاتتحرك .. في تلك المرة وددت أن أزحزحها من أركان حياتي ولكنها عادت ودُفعت إلىّ مسرعة تركض نحوى ثانية بذات نفس المشيّة العرجاء لتبعثر في طريقها الآمنية والحلم

ولك .. أخبرينى هل كان يتوّجب عليّ إلتماس الرحيل منكِ فعدتي للعتاب وبعده تذهبى؟!

أم لم يروق لكِ لهاثي وركضي لوادى الأفراح وقرارى قطع صلتي الطويلة بكِ؟ !

لوكان الحزن إمراة لأشفق علي قلوب النساء إن الآسي والهموم واللوعة يمتصون رحيق الحياة من القلوب

فقط شربت بعد الظمأ فقد سقى الحب قلبى على غير قصد منى ودونما أى تخطيط !وهل يكون لأحد أن يتنبأ به وبلحظة أويوم المجىء أو حتي الرحيل إن الحب هو وحده من يرتب المواعيد

ياتعاستي ماسرتعلقك بعنواني وكمونك في أركان حياتي البسيطة ودوائرى الضيقة المتواضعة ؟..أحبب ومنّيت بالنفس بالسعادة هل هذا ذنب ثم إنني متألمة بشدة ومهزومة إلي أقصي حد إنها جعلتها حرباً وفيها فازت زوجته علىٍّ لقد أوجعتني بشدة ! سأعاقبها علي مافعلت ولكن أما

كان بها أن تلقى باللوم عليه مثل ما كنتُ أعتب عليه تأخره في طرق باب قلبي المؤصد علي أحزانه طيلة سنوات

فما دخلي بأنها امرأة لمتلقي قبول زيارة الحب لقلب من أحبته لتتبعني أنا وتهاجم عشي الآمن

وتفرغ لجة غضبها وحقدها علي سقف حياتي حتي أنها لم تستثنى أحد منّا

فغيرتها المحمومة طالت وحيدى ! وتزيح أحلام بكل كفها خصلة الشعر المنكفئة على جانب وجهها وتبعدها بضيق قائلة فى حزم : عليه أن ينتقم لى منها وإلا أنتقمت منه قبلها ومن ثمة تجهش بالبكاء ويختنق صوتها الذى صار أقرب الى النحيب وهى تقول متوعدة عاتبة : أنتقم لى من زوجتك ياجمال وإلا أنتقمت منك قبلها ؟!

تميل برأسها وهى تنتحب والدموع تفر بين أهدابها المبللة متعلثمة تقول:كيف أنتقم منه ؟!

ما بقى لى بعد كل ماجرى إلا أن أنزع قلبى من صدرى وأخرجه منه و أفارق الحياة

تزفر بحرقة وبنبرة صوت واهنة : لو كان بمقدورنا أن نعرف وتوجهنا بالسؤال إلي أقدارنا عن شعورها وهي تلازمنا وترى حالنا بماذا كانت ستخبرنا؟

في بضع لحظات سريعة وخاطفة لملمت الأهازيج ورحلت .. بدت كأخر شعاع ضوء قبيل هجوم كل ظلام .. لما هى الفرحة هكذا في عجلة من أمرها ! فقبل أن تذهب كانت معى تضحك في عينى وتركض إلي قلبي .. ربما تجلس هي الأن بين أثنين غيرنا ؟!.كما كانت بيننا أنا وجمال !..جمال ! وتتسابق الدموع علي خديها وبشفاه مرتعشة تقع الكلمات منقوصة مبللة ومتعلثمة هل تحس بما أشعر ؟..كيف ترى ماحل بي بسبب ؟..

تتنهد بعمق وتلمع عينها بينما أهدابها تنفض من بقى علي أطرافهما من دموع لم أختارك ياجمال ولربما لو كنت أخترتك لم يكن ليقوى أيا ما كان أن يلحق بي أي سوء أنا أعفى نفسى علي الدوام من مسببات الشقاء والأسى .

تطل من عينها نظرة من وهج وتتمدد ابتسامة على شفتيها بلامقدمات وتستند في جلستها وهى تهز رأسها مغمورة بمد الحنين

أتذكر يوم التحول الكبير أوشك أبي أن يصفعنى على وجهى للمرة الأولى من فرط الغضب الذى تملكه ما أن سمع بما أخبرته به وأقدمت عليه فهب واقفا وألقى بالجريدة من بين يديه علي الأرض وأطفأ سيجارته وهب واقفا وهو يتأملنى في ذهول غير مصدق لما قلت وظل يعنفنى صائحا متوعداً تتخلل نبرات صوته مزيج من الإستهجان والسخط وهو يقول ساخرا هل من أحد لديه ذرة من عقل أن يترك الدراسة بالطب فيكون طبيبا ليعمل ترجمان للهلس والكلام الفارغ ! مضايفا بحزم روايات العشق والغرام والأهات والدموع وكان يقصد الروايات التى تستقر على سطح مكتبى وكثيرا ما رأنى أقراها خاصة في الأجازات وكان ينظر علىّ بترقب ولايعقب وبنبرة أمرة لن تتركى الطب ستكونين بعد خمس سنوات طبيبة ولن أسمح بغير ذلك وصاح مستنطقاً إياى قائلا: مفهوم ؟ فلما لم أنبس ببنت شفة فاستقبلت ردة فعله فى صمت وأنا أتفهم موقفه وظللت واقفة فى مكانى منكسة الرأس ثابتة في مكانى كمسمار دق بميل ما حدا بأبى على مايبدو من مواصلة الدق حتى النهاية ! وكب لجّة غضبه على مسامعى ولم أنجح مطلقا في تهدئته كما أخفقت في أقناعه أن الأدب هو ذاكرة الأمم وناقل ثقافاتها فى حياد وبكل موضوعية وأنه يختزل ويسطر حيوات الأمم ويدون أفكار وتوجهات وتطلعات واخفاقات وافراح وأوجاع وأحلام ومخاوف البشر فيما بينهم هو صدى حياة ساكنى ارجاء المعمورة وصوتها الناطق فكيف نعرف من حولنا بدون أدب فهو الاطلاع علي تجارب حياة الأخرين الحياة بصوت واحد

ناقصة الآداب هي باقي رموز المعزوفة الإنسانية فمعرفة الأداب الأخرى هى تواصل وتعارف بين الإنسان والآخر كيف نعيش بمعزل عن من يسكن معنا نفس الأرض وتحت ذات السماء تأملنى بغيظ متجاهلا يدى الممدودة إليه بالجريدة التى أنحنيتى ورفعتها بيدى علي الفور وظل يمحلق في وجهى يستهدف عينى بنظرات غاضبة ولائمة وعلي الفور هدأته أمي فهى دايما ماكانت تنجح في ذلك فلديها قدرة ما أن تقوم بعملية إحلال وتبديل في الأمزجة المضطربة في الأوقات العصيبة لكل من يقصدها شكاياً أو لاجئإليها بعدها بوقت قصير طرقت باب غرفتى بينما كنت أقف مكاني لاأتحرك ولا أدري لّما أظل واقفة مكانى أو أفضل المشي كلما صار خاطري مشغول مثقل بالحيرة أو الفكر والتوتر .فوضعت كفها الحنون علي كتفى وجلسنا قبالة بعضنا علي سريرى بينما بصرها يدور في الغرفة من حولنا حتي استقرت أعلى مكتبى إلي الكتب الموضوعة علي سطحه وابتلعت ريقها بصعوبة ولم تتكلم تسستجدى حركة لكفها الذى حطت به علي مقدمة فخذى من بعد ركبتى ولكنه قد ثبت مكانه وكأنه إلتصق في تلك اللحظة وددت لو بمقدورى أن أجهش بالبكاء وأن أزرف الدموع لازيح أسي لاح لمرآة قلبى فقد شعرت بما تحس به وبكل ما يموج في صدرها وبقينا لأكثر من الساعتين نتّحدث وهي تحاول أن توجد حلا وسطا معي لرؤيتها إصرارى علي قرارى وصمتى التام أثناء حديثها فبادرت بإقتراح أظن أن أبى من طرحه لتبلغه لى وهو أن أستمر في دراسة الطب وفي الأجازة أقرأ ما أريد من روايات العشق وقصائد الشعر ! وأنها ستعطينى ما أحتاج من مال لأشترى كل الروايات لقراءتها فقط وأن أتراجع نهائيا عن ترك الدراسة فى كلية الطب .حزّ فى نفسى أنى لم أملك من حل يرضيى أمى لحظتها شعرت بدموع تملأ عينيها الودايعتين وجمعتنا معا لحظات من صمت قبل أن تعاود تذكرتى ليوم ظهور نتيجة الثانوية العامة متحدثة عن حجم فرحتها يومها وكم كان ضيق بعض زميلاتى وقريباتى اللائى لم تحصل أغلبهن على نفس مجموعي والذى أهلنى للإلتحاق بكلبة الطب وبدورى تذكرت كيف كان أبي سعيد ومزهواً أن إبنته الكبرى في غضون سنوات

ستغدو طبيبة! ولو بإمكانى ماكنت أقتربت من ذكرى تلك الفرحة لدى أبي وأمي و بعد مرور عامان فقط وتبقى للنهاية ولكن هذا ما حدث لقد وقعت في هوى الآداب وتمكنت بسطوة سحرها وألق وجاذبية مباهجها من وجدانى أنها أقرب لطلاسم السحر التي ألقيت علي وعي !كما وأني ما أن أحب شيئا أجيده وأبدع فيه ومن هنا أستقر في ذهنى بعد مرحلة الشغف أن أتوجه للدراسة وأخترتنى الترجمة كما أخترتها فقد كان الطريق إليها شيق ومثير ويسير وبت أحلم باليوم الذى تكون فيه الكنوز الثمينة علي مقربة مني ويكون لي من الحرية في إقتناء ما أرغب منها ويتسنى لي القيام بترجمتها وكنت أظن أني سأقوم بترجمة كل الآداب وأن كل ما يروق لي سأقوم بترجمته إلي العربية ولكن الواقع كان مختلفا إذ أنه وعندما صارت الترجمة هي عملى اقتصرت علي الفرنسية فقط فتحتم علىّ ترجمة الآداب ومختلف الأصدارات من الفرنسية إلى العربية وبالتبادل من لغتنا العربية الى الفرنسية وكانت فرصة العمل فى المركز الثقافى الفرنسى بفرعه لدينا بالإسكندرية فرصة ذهبية غبطنى زملائى عليها فقلت ولما لا فلتكن البداية مع ثقافة بلاد السحر والنار والنور والباقية أتية وصرت أكثر أقبالا عن ذى قبل بالثقافة الفرنسية فالأمر لم يعد من قبيل الإطلاع والشغف ولكنه أصبح من ركائز العمل بالمركز فكثفت قراءاتي في الثقافة الفرنسية عن أدابها وتاريخها والقيم السائدة والأعراف المتوارثة

قد أثرتنى بلد الحب والرومانسية التي تُقدّس فيها المشاعر قبلة العصرية و الرقي والذوق الرفيع

و علي عراقتها وصنوف الإبداع بها تبرهن ما تحمله أروقة المتاحف وطراز القصور الأثرية وواجهات الميادين والشوراع العتيقة وشموخ القلاع القديمة فالكلاسيكية والرومانتيكية ومن البدء إلي أوجها كانت مع باقى مذاهب والحركات الفكرية والفلسفية فرنسية محضة ومنها قد أنتقلت تدريجيا إلي باقى بلدان العالم والتى أشرقت علي فرنسا قبل غيرها بضيائها علي الفنون والأداب

بمختلف ألوانها وطرائقها شعر ورسم وموسيقى وأدب ونحت وإلي حاضرها مازالت تصدر الجمال وتوجه الذوق من بيوت الموضة لديها في الأزياء ورسم خطوطها

كشانيل وهيرميس وفويتون وديور فالفرنسيين هم أكثر الشعوب حرصا وأهتماما بالهندام المميز والمظهر الحسن فى أرتداء الملابس المتطورة والعصرية ففضلت النساء قديما والبعض للآن الفستاتين والتنورات التي كانت تتزين بالنقوش والزهور وأوراق الشجر والفراشات كماوارتدى الرجال المعاطف الطويلة من أقمشة صوفية أو مختلطة من الصوف والقطن والبذلات والأوشحة ورابطات العنق الأنيقة الملون منها وذات اللون المتداخل أو الموحد كلمسة تضفى على الهندام مزيد من الشياكة والجمال ولأنه لا أناقة بلا عطر فأكتمل الرقى وبلغ الذروة وتفوقت فرنسا في تقديم وإستحداث أفضل وأنقي وأروع العطور المصفوفة علي أرفف أهم المتاجر لبيع العطور عالمياً ولم تدر ظهرها للطعام فقدمت أشهى المأكولات بمطاعمها الشهيرة بفروعها علي أرضها وحول العالم أنها بالفعل بلاد مثقلة بالجمال والسحر كأنها في حال مصر بمنتصف إحدى مراحل أوج المجد بها ومع أن فرنسا بكل هذا إلا أنها لم تفصح عن أسرارها وتهدى مأثرها لايا من الخمس وعشرون بلدا أفريقيا المتحدثين بالفرنسية كلغة أولى ففرنسا ظلت هى فرنسا فى حين بقى هم بلدان أفريقية سيئة الحظ رغم كل ما تمتلك من الثروات المتنوعة تعانى الفقر والمرض والفتن تتسول من فرنسا وبعض دول أوربا ممن كان لهم السبق في الحط على أراضيها في نوبات من الحظ السيىء

حتى أنه عندما حملت أطماع الامبروطورية الفرنسية في خريف عهدها أن تستهدف مصر لم يظهر للمخلصين منا من فرنسا الأ وجه المستعمر المعتدى فلم نحب فرنسا وقاومنا قوات من جيش فرنسا وأخرجناهم من أراضينا بعد خسارة حسب عدد من المؤرخين ثلاثمائة ألف مصرى سالت دمائهم في المواجهات مع الفرنسيين وبعضهم بلا مواجهة سقطوا تحت نيران المدافع التي

كانت تستهدف المدن والأحياء ويتردد دويها في سماء الإسكندرية إلي القاهرة إلي الصعيد ومع كل توغل من القوات الفرنسية في الأراضى المصرية كان الأهالي يتصدون لها فيعود للمصريين وفرق وجماعات المقاومة الشعبية الفضل في هزيمة القوات الفرنسية التي زحفت من أقصى الشمال الي أقصى الجنوب ومن كان لايتوفر لديه لك سلاح من الرجال فكانوا يتصدون لهو ويواجهونهم بالعصى والحجارة وفي المواجهة التي وقعت عند فرع النيل من الجهة الغربية قامت بنات ونساء رشيد بأستخدام كل ما في متناول إيديهم للحد الذى دفعهم الى أستخدام أوانى الطبخ النحاسية في التصدى والدفاع عن أنفسهم يهوى بالغطاء تارة وبالإناء تارة أخرى لاأتخيل كم الألم الذى يشعر به الجندى المسكين وفروة رأسها يشجها غطاء ثقيل مصنوع من النحاس وفضلت فرنسا أن تنهى المهزلة بعدما أنتشرت الأنباء عن هزيمة قواتها أمام المصريين

وغادرت وبالرغم من أن بقائها لم يطل إلا أنها مالت وبالغت في إستخدام العنف في مواجهة المصريين لإخضاعهم إذ طمست جرائم فرنسا في بلادنا على الوجه الآخر للحضارة الفتّية

هناك الفرنسيون أنفسهم يميلون الى التطرف في الزهو ببلدهم فلما يتوقعون من الشعوب

الأخرى الأذعان والرضوخ أو الترحيب بالجيش الفرنسى في مقابل أن ينقلوا إلينا أسرار المدنية ومعالم الحضارة كيف تفكر حقا تلك القوى والدول الكبرى في كل زمان ؟!

ولولا التسامح الثقافى بين الشعوب والحضارات لتمزقت وتعطلت روافد الإنسانية وتمزقت الروابط وإستحيت الأحقاد ونشبت الصراعات فلو لاهذا التسامح لم نكن لنرى أن يمتدح ويتطلع غير الفرنسيون لثقافتهم متناسين ما كان منها تجاه عدد ليس بالقليل من البلدان وعني فأنا الحريصة علي زيارة فرنسا والسير بطول شارع الشانزليزيه والتيه في أروقة كتدرائياتها العتيقة ومتاحفها وصعود ايفل وإحتساء القهوة الفرنسية وأنا أتشتم عطر باريسى فريد وأغيب في نشوة السحر في أجوائها وأمتن لعصري الذى إختلف كلياً عن زمن فائت وإلا لكنت أضطر أفعل مثل غالبية

نساء فرنسا فأجدني أرتدى مشد الأرستقراطيات الحريرى السميك والمدعوم بألواح من الخشب أو الحديد وتارة من فك الحوت والتى كانت تُنظم لأجله رحلات بحرية لجلبه وكلما كانت تمر السنين تتطور الموضة المتعلقة به فيصير ضيقا أكثر وأكثر بحجة أنه يشد الصدر ويسطح البطن ويحافظ علي ظهر مستقيم في أشارة مجازية الى أستقامة أخلاق وسلوك من ترتديه كيف تم الربط بينه وبين الإستقامة فقد كان يضغط علي الرئتين والأمعاء و رصدت حالات عديدة عانت من الإعياء والإغماء ومع ذلك ظل موجوداً لقرنين كاملين حتى بين الطبقات الشعبية ولم تسلم منه الحوامل والأطفال بحجة أنه يعمل علي نموهم علي نحو صحيح !فيما حرصت الطبقات الأعلي عليه ضيقاً ومطرزا ليعطي شكلاً مثيراً للصدر أقرب الى أن يكون بالفعل فاضحاً حتي أن بعض الرجال لجاوا اليه أيضا للتمكن من غلق أزرر الصدريات الداخلية أسفل البذلات في شكل من أشكال العقاب الجماعى وفعلتها الموضة تدريجيا عندما تبدلت وتغيرت وأختفى وكان أول رفض لإرتدائه وأستمر لفترة كبيرة

مع الثورة والتى غالبا هى الثورات من تحدث التغيرات الكبيرة فتوقفت الفرنسيات عن إرتدائه لأنه يمثل حقبة مرتبطة بالنظام السابق قبيل الثورة الفرنسية وبمقدورى أن أشارك مع الفرنسيين

احتفالهم بيوم الباستيل بمنتصف شهور الصيف تخليدا ليوم اقتحام الثوار لسجن الباستيل ومن قمة أندلعت الثورة كما يروق لى في تلك الزيارة المزمعة بأن أفوز بحضور حفلة تنكرية بالأقنعة في طقس متبع في بعض الحفلات هناك وللحظة تحقيق تلك الآمنية متوقفة علي موافقة الأخرون !..

في أول أجازة لي بالسنة الأولي من تحولى لدراسة الأدب كنت أقضى أوقاتي في القراءة كعادتى ولكن هذه المرة كان عدد الكتب أكبر بعض الشيىء كنت أتنزه بين بينهم بداخل غرفتى فقراءة كتاب هادف وممتع هو نزهة حقيقية وكنت أخرج قليلا في زيارات عائلية محدودة ليس

من أجل توفير الأوقات للقراءة ولكن ربما هي طبيعة فأمى لاتحب الخروج كثيراً إلا في المناسبات العائلية وفي أضيق حدود وهذا كان يروق لأبي ولاأعلم لما ولكنني كنت ألحظ أننى لاأخرج كثيرا وأفضل أن أبقى مع كتبي والفارق أن هذا هو إختيارى لربما لو منعنى أبى من التنزه والزيارات العائلية قد أثور أو أعترض وأشعر بالضيق ! ومع بدء الدراسة كان يتملكنى الحماس والنشاط في حضور المحاضرات وقصد المكتبة الخاصة بالكلية يوم بعد يوم لأستعير كتابا وأجرى حديث مطول مع أمناء المكتبة من أمتع الأحاديث كنت أعتبره طقسا متعلق بصلب الدراسة أيضا بعد إنتهاء اليوم الدراسي أعود مباشرة الى البيت في نظام دقيق ومحكم فقد كنت أحاول أن أثبت شيئا يستقر في خاطري !ولكن أبي لم يقتنع بعد ولم يرضى فكان أبي يرمقنى بضيق ونفاد صبر كلما لمحنى أدلف الي البيت وبجعبتى عدد من الكتب التي كان يلمح عناوينها وأسماء مؤلفيها الأجانب فكان يمتلىء السخط ويساوره الحنق والإستياء علىّ وتقول عينيه ألم يكن من الأولى أن تكون تلك كتب ومراجع طبية تتعلق بدراسة الطب!في الحقيقة كنت مشفقة على أبي من خيبة أمله فيّ ولكن ماذا كنت أفعل ؟! لاشيىء سوى التوجه الي ما أحب أن أكونه وأعمله والتحقت بكلية الآداب قسم الترجمة وكم كانت سعادتى وأنا اتلقي المواد المقررة وأعيد مراجعة قدراتى في اللغة كنت اعتبره نفسي محظوظة بكونى محبة للأدب ولديا القدرة علي فهم وحب الإطلاع عليه الأدب يتيح لنا الغوص بالعيون في أعماق النفوس وكشف أحاديث العقول هذا يكتب عن الحب وهذا عن شجونه وتطلعاته وآماله وأفراحه وممالك وقلاع في الخيال يتيح لك الأدب أن تبّحر فيها وتطير علي بسط الخيال تهبط وتعلو وتغوص في أغوار النفس وتحلق في السماء كأنك في حديقة تتساقط الثمار عليك وأنت تتنزه في أرجائها كم أسعدتنى دراسة الأدب والتفرغ له وكنت أقف أمام الروايات المكتوبة باللغة الفرنسية أمسح علي أغلفتها بفضول وآسف أني لا أعرف محتواها كانت الحروف الفرنسية تتود إليَّ وتداعب خيالى وتمنّي فكري وتعلمت الفرنسية ودلفت الي مغارة الكنوز في المكتبة كم كانت فرحته كدت أطير

وأنا أحبو وسط أروقة المكتبة وعلي الأرفف مجلدات تضم أخيلة مكتوبة وآهات مطبوعة وحروف مغرية أحمل أسلحتى وذخيرتى والمؤن وأتحصن بالمكتبة كنت أحمل قواميس اللغة والعبارات واتوجه الي هناك كأني في نزهة أخشى أن يفسدها عليَّا أحدهم فكنت أنفرد بنفسي وكتاب أختاره وأنا حائرة أيهم ابدأ به وتغلّبت علي عاداتى السيئة بصعوبة فكنت أحب وأحتار بين عدد من الكتب وأود لو اقرأها جميعها بوقت واحد ورأيت حلًا لهذا التشتت هذه بأن أعيش بين كتابين فقط أتنقل بينهما ما إن أأخذ هدنة هنا أعاود وأهرول للثاني أنها إحدى المتع العظيمة التي أتمتع بها وأعايشها ومن اللحظات الفريدة التى أعايشها وأقتنصها هى نسيان نفسى فى تفاصيل إحدى الروايات التى أقراها يوم خطوبتى كنت ليلتها حائرة بين أن أنهى رواية كنت عاكفة علي ترجمتها وكانت مشوقة وغامضة وللحق شعرت أنى أخون بطلة روايتي فقد كانت على وشك إلقاء النظرة الأخيرة قبيل مراسم دفن حبيبها بينما أنا بصدد عمل حفل خطوبتي كنت مشفقة عليها كنت أرى أن أجالسها وأمضى معها الي الأحداث وأسابق السطور لأتوصل معها لحل قد قام الكاتب بطرحه في الأحداث المتقدمة ويومها فؤجئت أن ماما تحملّق في وجهى بذهول ودهشة ومتعاطفة معي لأول مرة وأنا بهذه الحالة والوضعية اذ كنت أبكى وأنا أترجم ذلك الفصل الذى قضى فيه حبيبها كم أشفقت عليها وعلى أمي التي أتضح لى ظنها فيّ بأننى أكتب رسالة لأحدهم تنبّهت لها فوجدتها تتأملنى بآسى وخوف فطويت صفحات الرواية لأُوقف دموع البطلة مؤقتاً ونهضت منزعجة وقلقة علي أمي وقمت من مكانى مبتعدة عن مكتبى متوجهة اليها مباشرة وعانقتها وأنا قلقة عليها وسألتها مابك ياأمي فربتت علي كتفى

وقالت :العريس!..هل سترفضين العريس يا أحلام ؟! ولم تعطينى فرصة لابلغها ردى ولكن لم أحتمل أن تكون بتلك الحالة لأجلى فإبتسمت وأنا أحتضنها

وقلت لها : أنا موافقة ياماما

خاصة وأن علاء شاب مهذب ومثقف و هيئته مهندمة ومظهره رائع فهو يمتلك قواماريا ضياً واضحاًولافتاً للإنظار فضحكت أمهاالتي لم تكن مصدقة إلي أنها وافقت بالفعل

:فمالت أحلام علي كتف أمها لتؤكدعلي مايبدو علي موافقتها على العريس وقالت في دلال

ووسيم وبن أعز أصدقاء بابا ايضا

فعانقتها أمها وخرجت من الغرفة علي الفور وهى تهلل قاصدة علي ما يبدو والد أحلام لتخبره

وبالفعل لقد تناهى الي سمع أحلام وهى متوقفة في وسط الغرفة لاتدرى ماذا تفعل والإبتسامة تضىء وجهها

صوت أبيها وهو يتحدث الي صديقه في التلفون يتخلل كلامه القهقة والفرحة تغمر نبرات صوته ليبلغه بموافقة أحلام

ابتهجت أحلام لتلك الفرحة التي غمرت قلب أبوها بموافقة علي الزواج من بن صديقه والتي من شأنها توطيد صداقتهم الطويلة التي ستكلل بالمصاهرة وظلت واقفة في مكانها غير مصدقة لماكان لها يد به تسمع صوت ضحكات أبوها وهى تهمهم

لقد أشتقت لها لتلك الضحكة يابابا..وحشتنى صوت ضحكتك جدا.. تظل أحلام واقفة بمكانها قبالة مصدر الصوت غير مصدقة أن لها ثمة دخل بكل تلك الفرحة التي غمرت أبيها ويعبر عينها بريق دمعة تمتلاء بها عينيها فتضم شفتيها تطبقهما معا وتهز رأسها برضى –لك ضحكة عذبة صافية تشعرنى بالأمان بأن كل شيىء من حولي راسخ مستقر فى مكانه ثابت لايتزحزح و تزوجت علاء وأنجبت بعد تسعة شهور ونصف من الزواج ابنى كريم

وهذه الضحكة وبفرحة أكبر غمرت قلب في اليوم السابع لمولد كريم حمل أبى كريم بين يديه بحرص غير مصدق أنه يحمل حفيده الأول وظل هو وعمي عبد الرحمن يمزحان ويضحكان متندرين بصغر حجم كريم وكيف أن تلك كانت بداية الأثنين ويقهقهان ثم تليا عليه

شرطهما الوحيد بأن يصير هو الأخر مثلمهما مهندسا وضحكنا جميعا متمنين أن يفى كريم بهذا الشرط

لم يكن عمر السعادة قصير بيننا فثمة أخر هو من كان أقصر مما أتوقع أو أتخيل !.. أنا وعلاء كنا زوجين أقرب الي زوجين تقليديان مثاليان كيف لاأدرى ولكننا كنا سعداء رغم أننا لم نتزوج عن حب حتى أنى تشككت في ثمة ما يرمى الي أن الحب هو المصدر الوحيد السعادة !..كان بيننا إنسجام وود كبيرين فكل منا يحرص علي إرضاء الثاني ومحاولة التقرب منه وفهمه هي علاقة ذات خصوصية من تلقاء نفسها دونما ترتيب من أيا منا جهودنا جاءت فيما وكأنه كان هناك إتفاق ضمنى علي أن نكون سعداء معا ومع الأيام نما بيننا شيىء جعل حياتنا دافئة تسبقها أمواج من الإشتياق وحرارة اللقاء كان عمله يأخذه مني كثيرا وما أن يعود بعد غياب نلتقي كعطشى بعرض صحراء عمله كان يستغرق منه الكثير من الجهد والوقت كنت أشفق عليه أنا كنت أحب عملى وأخلص في أدائه ولكن ليس مثلما يبدو علي علاء كان يتفانى في عمله فقد كان يريد أن يترقى ويتأهل ليتم الموافقة علي نقله الي فرع الشركة هنا ليكون قريب هنا من أهله ومني كانت يحمل كريم بين يديه وعاطفته تغمره وأري في عينه عاطفة لاحدود لها كريم علاقتنا كانت تقوي مع الايام حتي أن أحساسي وشعوري تجاه كريم صاحبه وهج ما علاقتنا اكتسبت أبعاد تشبه اللون الأكثر دفئا وإمتلائاً وتداخلاً من بين الألوان المنفردة بلونها الأول !

في صباح يوم أجازة لى وكنت نائمة أستيقظت علي جرس الباب وطرقات مترددة نهضت بسرعة واضعة دورب عليّ وهرولت بإتجاه الباب مباشرة كان الوقت مبكراً وجدت أبى يحتضنى بسرعة خاطفة وهو يحاول التماسك فقد كان مضطرباً دامع العينين وطلب مني أن أذهب معه فسألته لما لم يرد عليّ وسألته مجدداً وتوجست حدوث أمرا فسألته مجدداً ماذا جرى ؟ لم يجبنى وظل صامتاً شعرت أن ثمة مكروه حدث لأمي وخاصة وأنها تعانى من ارتفاع مفاجيء من وقت لآخر في معدلات السكر والضغط على أثر حزنها الشديد علي وفاة أخي الأكبر خشيت أن أسأل أبي لا أريد أن أسمعها لاأتخيل أن أمي تموت أمي هى قلبى وأنا أريد أن أبقى وأعيش للعقد الثامن و كريم وقتها كان بن خمس سنوات فقط حتي أنه لم يكملهم بعد كان سيتمهم في أخر العام حملته رغم أنه كبير كنت بحاجة لأضم أي أحد وأي شيىء كنت خائفة علي أن يخرج قلبى من مكانى أو أن تتشابك أضلاعى من فرط الخوف والقلق ونزلت مع أبي أحمل أبني كنت أتجنب النظر لأبى الذى كان يؤلمه دمعة متحجرة في عيني تحيها الحيرة وسؤال ممزق بداخلي و أستجمعت نفسي وسألته ونحن بالسيارة ماذا جرى ماذا حدث ياأبى هل .. وأنفجرت باكية وصدري يعلو ويهبط من شدة البكاء حتي كريم أخذ يبكى هو الآخر وهو يتطلع في وجههى وبكي أبى وابتعد بنظره عني يقود في صمت للطريق و يغالب دموعه والسيارات تمر بجوارنا مسرعة والجو غلبه حر شديد وخانق كأنه الأكسجين قد نفد أو هرب ..

استيقظت قبيل العشاء لأجد نفسى علي سرير علاء فى بيت والده وبجوارى أمي تبكى وتنتحب وهى تمسك بيدى ولمحت احدى أخوات علاء بوجه شاحب وعيون محتقنة تنظر عليّ بأسى وقلب مفطور ففتحت عينى وأستعدت وعيي لأطلق صرخة مدوية من جديد أجهشت أمي باكية و أخت علاء الكبرى وتناهى الي سمعى صوت نحيب من خارج الغرفة ودخل أبى يواسينى وهو يحمل كريم شعرت أن قلبى يؤلمنى بشدة وكان ثقيل ظللت فترة كبيرة أستشعر جسدي

كالريشة وقلبي صخرة علي جسدى كنت أجد صعوبة في كل شيىء حتي السير علي الأرض لم أكن أشعر بشيىء وكأنى تحولت فجأة الى ألة!..

لم أتصور أن يرحل علاء بتلك السرعة ويقتحم الحزن قلبي وعرفت من حينها أن للحزن أنواع و في القلب مواطن فحزنى علي علاء اختلف عنه علي أبى ربما وجه الإختلاف في الناحية التي يحتلها الحزن كان أبى بأعلي القلب وأما علاء ففي المنتصف الي العمق وخبرت أنواعه بوصولي الثانية والثلاثون وقتها مع ثلاتة أنواع من الحزن

فثمة أخر كان يهب ساخناً وثقيلاً يختلف عن بقية الأنواع كان في تلك المرة هو حزني علي نفسي

فأنا صرت في تلك المرحلة المبكرة من عمري أرملة ! وأرملة كلمة ليست بالهيّنة أو العصية في الوضوح

في قاموس اللغة معلومة المعنى والدلالة أما بسجل مفردات الحياة فهو لقب من فقد شريك حياته من رجل أو إمراة و من شطر نصفه يا لهذا لقب ومسمى بائس يتناسب لوصف حالة بؤس .كنت ساخطة فى البداية الى أن أعتدت الأمر والظرف ومضيت وفي حضني كريم وصار هذ الكيان الصغير البرىء هو مركز الكون في حياتي فعمدت الي الحفاظ علي أجواء مستقرة غير قابلة للتبدل أو المجازفة من شأنها أن تهدد مستقبلنا معا ووضعى فظلت أحتال علي إحتياجاتى جميعها فقد كنت أواجهها بالتشويش عليها تارة وبالإستعلاء في أخرى .ومضت سنة بعد أخرى وكريم يكبر وأنا أقوم بترجمة المزيد من الروايات والكتب لاأبالغ أن قولت أن ترجمة الأداب أنقذتنى من الوحدة وبددت الحزن وأنتشلتنى من نفسي ومن هواجسي كنت أعيش وأتنقل بين صفحات الروايات أعانق شخوصها وأمد لهم يد لمساعدة أستوضح صفاتهم وملامح شخصياتهم وطبيعة أحلامهم وأمالهم وأسباب شجونهم وأنا أقوم بترجمتها كنت أدخل معهم في

حالة تواصل فكرى ووجداني كانت حياتي ثرية وغنية فأنا أقوم بتقسيم وقتى بين أبنى وعملى والتردد علي بيتين لاثالث لهما بيت أبي لزيارة أمي والثانى أهل علاء قطعت شوطا كبيرا من الوقت لأتقبل أن علاء ليس موجوداً ولن يكون ولكني أعمد الي شعور ما يريحنى بشدة ويرخى السكينة بداخلي والسلام بكل أركاني وهو أنه في مكان ما قد يجىء أو لن يجىء ولكنه فى مكان ما بكامل هيئته وعلى ذات صورته حتى بأبتسامته ونظرات عينيه ولم أزوره قط في قبره ولم أقر في داخلى بهذا والجميع يعرفون بهذا عني فلا من أحد يتحدث معي بهذا الخصوص !..ولاأدرى هل هذا التصور هو من جعلني لاأنتبه إلا قليلا الي أن علاء لن يعود قط وأنني بلارجل بالفعل ؟!..وكان يحز في نفسي أني بلا زوج بعد ست سنوات فقط كزوجة لأظل هكذا لثمانى أخرى ! يبدو أني قد هئيت نفسى دونما قصد مني في أن أعيش أنا وكريم فقط لاأخا أو أختا له ولازوج لى ودت بشدة وألحت على أمى لو أتزوج ثانية ولكنى كنت أرفض لم يروق لي أيا ممن ألّمح لي بالزواج ولا في من قد تقدموا بالفعل . لتمضي حياتى هكذا وأنا مازالت أشوش وأستعلى علي ذلك الخاطر فقد صرت أستشعر في أغلب الأحيان أنه لاينقصنى شيىء ولامن شيىء أريده.. كريم هو أسرتي وأنا له كل الدنيا حوله أدور وله أعيش لتمضي أيام حياتي في البداية ثقيلة أخذة في أن أتكيف علي صغر عدد أسرتى الذى لن يكبر لم أحزم أمري علي أن أعيش لأخر عمري أما لكريم وحده تتملكني رغبة ملحة في أن أنجب مجدداً وأحمل طفلا في أحشائى ولمرة واحدة وأجد بطني طفل يركلنى يمينا ويسارا وأنا أتعجل يوم الوضع لأري ذلك الذى أرهق أمه شهوراً وعانت المشقة والتعب بحب وعلي لهفة في حمله! وأستعيد معه ثمة أمورومسائل معطلة نعم معطلة ومتوقفة تماما وهذا محبط بالنسبة لي و يستقر هذا الشعور بداخلى وأن كنت لا أسمح بأن يستمر لأكثر من دقائق بيني وبين نفسي أشوش عليه فأنا أجيد هذا الأمر! كما كنت أشتاق للمسة يد وعناق طويل بعد عناء يوما من العمل وكم من المرات إنكمشت علي نفسي في ليالى كثيرة كانت أكثر من غيرها طويلة وأنا أتلمس وأهفو لتلك اليد

ترخى الدفء على أغصانى وتهدأ لوعة تطل بين الحين والحين وكما أنا وهى ما عودت نفسى إياه أصادرها بالتغافل والإستعلاء وكثيرا ما أواجهها بالترفع حتى عن مناقشتها مع نفسي لا لأكون وأظل الأم المضحية التي أختارت أن تعيش لابنها فقط هذا أختيارى ولكن تختبىء رغبة أخرى بداخلى ..من حولنا تعيش نساء مضحيات لأجل أبنائهن في غياب الأب بالرحيل أو في وجوده وذلك في حالة أن كان لايقوم بدوره فتتولي الأم القيام بالدورين معا فهي مضحية أيضا فقد حملت عبئين معا المسؤلية الكاملة عنهم والحرمان من أن يكون لها رجل حقيقى

وهناك المضحيات بقوة الضغوط المحيطة والممارسة عليهن والتي حولت الكثيرا ت الي مضحيات رغما عنهن وإن توفرت لهن حرية الإختيار فنصفهن ربما لن يقبلن بهذا الدور

ومن بين من أخترن أن يكون الأم والمرأة المضحية عن قناعة ورضى تام تدرك جيدا أن أى بادرة لندم قد تظهر فأنها تعرضها لخسران المكانة الرفيعة والنظرة المبجلة فعليها ألا تفصح عنها مطلقا إلا إذا كان لديها صديقة أقرب لبئر عميق وإلأ في حال علم بهذا فى محيطها فستقابل بالإستنكار والشجب وتلاحقها نظرات المصدومين فيها وربما تدان وتلوك الألسن سيرتها كأن يقال تلك حنت للرجال وترغب في الزواج من جديد ! وهنا تبدأ الأخريات بأخذ الحيطة والحذر منها خوفا علي أزواجهن ففي الجوار خطر يتهددهم بالخطف مباشرة أوبالإغواء للايقاع بهم في الفخ! أن في الحى أرملة راغبة في الحلال!..

أما من يتأكد من أنها هدمت حصون الشباب وتوارت خلف المسؤليات تكدح وتذبل وتطل علامات البؤس والأسى بقسماتها فتلك هي صفات الصديقة الصدوق لاقلق منها داعى للحذر

أما وأنه فقد ندمت بالفعل بعض النساء علي القيام بدور الأم المضحية ولكنهن فطنات خبيرات بأوساطهن وطبيعة الفكر السائد والمتعلق بمثل من في ظروفهن فهنا يلجأن يفضلن مختارات الإستمرار في نيل التوقيرعن صب اللعنات وهذا التوقير بعد وقت قد يكون يتحول الي أداة

تعذيب تمارس ضدها بحكم التكرار والإستمرار بعد أن كان يخدر ألمهم ويحتال علي صوت يتردد بالداخل من حين لأخرفيسكته .

وقدمرت سنوات ولم أتزوج لكل تلك الأسباب ربما ولكنى لو كنت أقدمت علي التجربة لم أكن لأسمح لشيىء أن يمنعنى كان المانع قابع بداخلي كنت أضعف وأبكى أحيانا فمسألة العمر الذى ينفرط تخيفنى وكم ترهقنى فكرة أن يأتي الخريف وعلامات السن قد زحفت علي وجهي وجسدى! لاأدرى كيف سأتصرف حينها وبما سأشعر وأتذكر ذلك اليوم جيدا يوم نمت ليلتى باكية فجأة بعدما كنت أعيد ترتيب أرفف دولاب ملابسى ووقعت عيني علي بعض الملابس لم أكن قد أرتديتها لم ألحق لم أكن أبكيه كنت أبكي حظ عاثر كنت أود لو نعيش أضعاف السنوات التي عشناها معا نظل معا حتي نكبر يومها وتهترىء تلك الملابس جميعها نرتديها في أيامنا التى نحياها معا كانت لحظات قاسية ولكن ملابسه قد أحتفظت بها لسنوات من وفاتها الي أن أعتصرنى الحزن علي نفسى فقررت أن أهبه ثواب من يرتديهم من بعده!

لا أريد أن أشعر أني غير مقيدة بمظاهر الفقدان ملابس رجل لم يعد موجود وأرتبط رحيله بوجع يهزنى بقوة لم أعد أحتمله ليته بقي ولم تكن كل تلك الملابس المكدسّة تشخص أمام عيني كأكوام من الهموم والأسى .

في فضاء الكتب كنت أجد السكينة والسلوى ولوكان يعلم أبي وقتها كم سيكون لنوعية وطبيعة المجال الذي أخترت من مأثر ودور في مداواة شجونى وأحزانى لفرح حينها وشجعنى ولكن من منا يعلم عن أقداره من شيىء وبعد رحيل كريم تحديدا قد أيقن وعرف

فمن وجوه الإختلاف وسبب مشاكلنا مع أهلنا المتعاقبة هي أن إختيارتهم لنا صائبة غالبا ولكنها تناسبهم أكثر مننا ..

لاتغمض عينك عندما يداهمك الخوف ! فلاأنسى يوم خطفتنى تلك الرواية التى كنت أعكف على ترجمها وأثرت عليّا بشدة وحفرت في وجدانى وهزت فكرة عالقة وراسخة بذهنى إذ كان الكاتب فيها يروى ضمن أحداثها كيف أنه كان لايخاف وفجأة حدث له موقف جعله يرتعب من مجرد أن يفتح عينه أو يغلقهما ! ربما أن غلق العين يدفع بمخاوفنا الي الداخل فتتشكل وتكتمل أمام أذهاننا جلية وثابتة ففتح العين يعمل علي تشتيها لأن العين قد تنشغل برؤية أكثر من شيىء يخطف الإنتباه ويتوزع حينها الإنتباه علي أكثر من شيىء ! لالغلق العين عند الخوف ويمكن وقت البكاء بحبس الدموع وهذا تصرف خاطىء وقد يضر العين ولكنني أحيانا أفعلها !.

باغتني ألم أسنانى ولما لم أعتد من تناول لأي مسكنات وأقف أمام كل ما يؤلمنى أحسه وأتأمله الي نهايته لم أحتمل مع رفض تناول أي مسكن وفي اليوم التالى مباشرة توجهت في المساء فور عودة كريم من دروسه الي أقرب عيادة لطبيب أسنان وجلست في الإنتظار بينما ظل كريم واقفاً مكانه تأملته بعين واهنة تحت ضربات الألم ودار بصرى في أركان العيادة يتضحك أن المكان مريح ونوافذه مشرعة على الطريق تسمح بتجدد الهواء فى المكان وقد أمتلاء المكان بنسمة هواء باردة كنا في مقتبل فصل الشتاء والي جانب من المكان منضدة من دورين بإرتفاع أقل من متر عليها عدد من المجلات الطبية والثقافية والفنية والتي تحمل أغلفتها صورا لنجمات سينما وأخرى لمطربات وشاشة عرض تلفزيونية متوسطة مدارة ويعرض مسلسل أجنبى سريع الإيقاع وبيد أحدهم الريموت وكان بعض المرضى يشاهد التلفزيون عن كثب وإستغراق يبدو أنه كان مرافقاً فقط لأحدهم وإلا لما كان يشاهد بتلك الحالة من الأريحية والترقب كان المتواجدين بالمكان يغلب الصمت علي أكثرهم إلا من عدد قليل من مرافقيهم وخمنت ذلك لما رأيته علي وجوههم من حالة إنبساط تعبيرية لم يكونو يتوجعون مثلي أو يكافحون نوبات الأم الأسنان أما الجدران فلونها أبيض ومعلق أعلي النوافذ ستائررقيقة يحركها الهواء بخفة .. السكرتيرة فتاة صغيرة منشغلة بتدوين الاسماء تبعا وبين لحظة والثانية تنظر في شاشة هاتفها الذى يستقر الي

جانبها من طرف المكتب من الداخل يبدو أنها هي الأخري في حالة إنتظار ما! أملاها كريم أسمى فور دخولنا ومن ثمة جلست بينما هو أفسح مكان وحيد فارغ الي رجل كبير في العمر نوعا ما يتوجع من ضرسه بشدة فرمقته بنظرة رضى فابتسم هو علي أثرها وانزوى بعيدا في ردهة بمقدمة مدخل العيادة فنظرت له ليدخل وبالفعل استجاب ورأى أن يقترب من مكتب السكرتيرة ويسألها عن دورنا فنظرت له بإستنكار وأشارت علي عدد يبدو كبيراً تقع أسمائهم أمامى فقام بعمل ما اتفقنا عليه ودفع كشف مستعجل فنظرت بدورها الفتاة ناحيتى ولاحت نظرة شفقة في عينها نظرات لصمتى المريب وامتقع وجهي علي أثر الألم المستمر فجاهلت نظرتها ونظرت لكريم الذي كان ينظر ناحيتى بترقب قطع كل ذلك صوت جرس من ناحية باب غرفة الكشف فقامت على الفور الفتاة لتظهر أخرى تبدو من هيئتها أنها مساعدة الدكتور سيدة بأواخر الأربعين بسيطة ولكنها نشيطة تتحرك بسرعة ملحوظة وتوجهّت مسرعة الي جانب في العيادة يبدو أن ثمة مطبخ لأنها عندما عادت كانت تحمل زجاجة من المياه ولكن لما لايتوفر في جانب من غرفة الإنتظار مبرداً للماء ! وفؤجئت أن بيدها الأخري طبقاً كبيراً به مادة ملونة فتوقعت أنه ليس بمطبخ وأنه أقرب الي أن يكون في هذه الحالة معمل أو ماشابه .خرجت من غرفة الكشف سيدة تضع قطنة في زاوية فمها ترافقها شابة صغيرة يبدوابنتها وخرجت السكرتيرة لتخبرنا أن ندخل ودخلت أنا وكريم الي الداخل

الدكتور رجل في متوسط الطول يرتدى بالطو ملون أزرق اللون في منتصف الثلاثين يلبس قفازين في يديه ويضع كمامة محكمة علي أنفه وفمه وفي رقة أحلام :مساء الخير

الدكتور: مساء النور

وجلست حيث اشار لي الطبيب علي الشزلونجد بينما كريم ظل واقفاً

ترددت في فتح فمي وأشرت بطرف إصبعى السبابة

–ضرسى يؤلمنى بشدة من فترة وتوقف الألم ولكنه عاودنى من جديد ليلة أمس فقط فأومىء برأسه في ود وبألية وأشار الي غرفة الكشف الملاصقة مباشرة للمكتب بلاباب فتوجهت ناحيتها وتبعنى كريم بحرص بالغ ! ودخل الطبيب بعدنا

جلست علي الجهاز وتمددت في حذر لا أدرى لمّا! ووقف الدكتور بجانبى فتحت فمي لم أكن في حال يحتمل طرقات الة تشبه القلم أمسك بها وهو يفحص فمي فتوجعت وتأوهت بصوت واضح وكادت تدمع عينى فنظر كريم ناحية الطبيب في إستنكار وشفقة كبيرة عليا لم ينتبه لذلك الطبيب وواصل عمله

–الضرس ملتهب بشدة ويجب أن نعمل علي علاج الإلتهاب أولاً ثم في تجهيزه للحشو بأقصى سرعة فعمر الضرس علي وشك الإنتهاء فهو الي ضرس مهييء للخلع

فنظرت له ولمحت عيناه من خلف الكمامة الموضوعة علي فمه ولمح في عينى خوف ما وجزع أقرب لفوبيا من ناحية كل ما يخص متاعب الأسنان فأومىء برأسه بلطف مطمئناً ايانا

ظل كريم منصتا لحديث الطبيب وقمت أنا وتبعناه الي مكتبه فإنكفىء علي روشتة يكتب العلاج فنظر لي كريم وقال اتفضلى ياماما وأشار الي الكرسى أمام مكتب الدكتور وهنا انتبه الدكتور لكريم لأول مرة أو ربما استوقفه أن شاب رائع يافع ذو قوام رشيق ورياضى مثل كريم يناديني بماما فنظر في وجهى ووجه كريم هل قد رأنا عندما دخلنا ولكن لما عقد تلك المقارنة فهو ابنى وهذا منطقي وواضح ,والتقط كريم الروشتة .

الطبيب مؤكداً موعد الأستشارة

–يوم الإثنين القادم ..

كريم: حاضر يادكتور ..أن شاء الله

وأومئت برأسى وقمت من مكانى متجهة مباشرة الي الباب وخرجنا

قصد كريم أقرب صيدلية من مكان العيادة ودخلنا نحضر العلاج ثم رجعنا الي بيتنا

دخل كريم ليذاكر دروسه بينما أنا ما أن تناولت الدواء حتى خف الألم بشكل كبير حتى إنى تمكنت من قراءة عدد من الصفحات في الفصل الثانى بكتاب كنت أعكف علي قرأته لتجهيزه للترجمة .

في الصباح توجهت الي المركز بعدما أوصلت كريم الي مدرسته في طريقى فتح الباب وهبط من السيارة بينما أراقبه وهو يصافح زملائه ويتضاحكون وهم يعبرون سوياً بوابة المدرسة المفتوحة علي مصراعيها ويتوافد الطلاب بإتجاهها. قابلني الهواء المنعش من الحديقة وسرنى إهتزاز الزهور في اماكنها علي أغصانها منظر ملائماً ولائقاً بمركز ينشر الثقافة والتواصل مع ثقافات الأخرين وصنع جذور تقرب بين عالمين وشعبين العطور التي تفوح من الحديقة دالة علي أنه مركز ثقافي فرنسى حقاً فما المكان الأنسب لوجود الزهور من مكان عُدّ خصيصاً للتواصل بين الحضارات والثقافات المختلفة أن لم تكن الزهور هنا وتلك الأجواء الباعثة علي الراحة والإنتعاش أين إذن يكون وجودها ؟!..والأرضية الندية للمكان المؤدى الي المبنى العتيق تعكس أجوائه عبق من ثراء الثقافة وسمو الحروف ووهج الكلمات تحمل الجدران لوحات عتيقة تحمل رسومات دقيقة بألوان دافئة وعلى واجهة المركز من الخارج يافطة نحاسية تتلألأ بأشعة كالذهب في صحبة رفع الشمس حرارة المكان يضوى بما فيه وتحتوى الحديقة على مجموعة منوعة من الزهور والوردو وأنواع نادرة من الأشجار ليست هى بالشاهقة والمرتفعة ولا بالعالية كانت أقرب الي شجيرات متوسطة ومتدرجة كبيرة وصغيرة وفي أول ردهة وهي كبيرة مقارنة بباقي ردهات المبنى تحمل علي جدرانها لوحات عملاقة بأطر ذهبية مزخرفة لصورة من أبرز الإدباء والفلاسفة والشعراء الفرنسيين مثل فولتير وجان جاك روسو وسارتر وبوفوار وجوستاف

فلوبير كما يتوسطهم لوحة عملاقة تحمل ميثاق تعامل بين الأمة المصرية والفرنسية تعكس الروابط الوثيقة بين فرنسا ومصر والإهتمامات المشتركة والأبعاد التاريخية من عراقة وعلاقة وعطاء إنسانى يمتد ويرجع لعصور تاليدة , أما المبني فيتكون من عدد كبير من المكاتب تقع علي صف واحد من المكان بينما في الجهة المقابلة مكتب مدير المركز الفرنسى مسيو ميتران ايمانويل البالغ من العمر خمسة وخمسون عاماً رجلاً وقوراً وشديد التأنق والثقافة معاً ومحب لمصر علي نحو صادق وعميق كثيراً ما يخبرنا أنه يحب كثيراً أن يتجول في شوارع مصر القديمة تحديدا وزيارة الأماكن الأثرية العتيقة ويتعمد أن يلقتط الصور له مع أشخاص بسطاء مصريين كما يخبرنا أننا محظوظين بكوننا أبناء بلد عريق صاحب تاريخ عظيم وعريق مثل مصر فنبتسم كلنا ماعدا عزيز وليليان ! صدى همس صوت الموسيقى قادم من وجهة مميزة بالمكان بلاتوقف أنغام فرنسية رقيقة أغلبها من الساكسفون وأحيانا بيانو مما تضفى علي الأنحاء حالة من الدفء والشاعرية أما مكتبة المركز فهى الأروع في المكان تمتد مكتبة المركز علي مساحة أقرب لثلث المكان تقريباً يدهشنى هذا تحمل أرففها المصنوعة من الخشب المطلى بلون الشكولاتة الداكنة عدداً قليل من الكتب كل رف يحمل عدد قليل فالكتب تأخذ حيزها في مكانها علي الأرفف تتجلي من كل زواياها في أناقة وتفرد كأن المكان أقرب الي معبد تتجلي فيه عبق الأداب وتتدفق فيه مشاعر وعواطف وأخيلة عشاق الأدب والشعر والفن والثقافة هو أقرب مكان الي وجداني ونفسي أنتعش فيه لاأشعر فيه أنى أعمل بل أكون متجولة بعوالم الخيال اقرأ روايات وكتب وأقوم بترجمتها بعد ذلك كان الكتاب يستغرق مني وقتاً أطول من الرواية لعل السبب يرجع الي أن الرواية كنت اقرأها علي نحو أسرع وأدخل بها الي عالم رحب محلقة في الخيال تغمرني البهجة والمتعة فما أن أنجزها أقوم بتقديمها وتسليمها للمشرفين علي قائمة الأعمال المختارة لترجمتها ومن ثمة تعرض المختصين بالمراجعة ومنها الي الطبع وأغلب من قمت بترجمته لم يحتاج المراجعة الدقيقة فقد كنت علي دراية وتذوق بمحتواها مما يسهل

علي عملية الترجمة الي اللغة الأم بعض الروايات ندمت أني قمت بترجمتها ليس لأنها غير ذات جدوى أو لاتحمل أى قيمة أدبية أو إنسانية مطلقا ولكنها كانت مفزعة حقا لأنها جعلتنى أنكمش علي نفسي في حالة صدمة وتخبط كبير ولكني ترجمتها وكلما شعرت بخوف أهالت ذاكرتي تفاصيل تلك الرواية لغلق مساماتي علي مخاوفى ! ..أتوقع أن أتذكرها في عيد ميلادي القادم! ..مع مداومتى علي تناول العلاج الذس أوصي به الطبيب وأن رافقتنى مخاوفى عدنا للمخاوف ثانية! .من تجدد الألم أو إنتقال حالة ضرسى الي بقيتهم ولو بيدى لتخلصت من ألم ضروسى دفعه واحدة ..لا أدرى ما صحة ما ورد عن أن بعض اليابانيون قد افلتوا من ألام الأسنان عندما أقدموا علي خلع اسنانهم وإستبدالها بأخرى إصطناعية حفظاً لسلامة القلب عن طريق تجنب إنتقال الأمراض من الأسنان الي باقي الجسم وخاصة القلب ! وإن كان الأمر صعب علي التخيل ولكن ربما تألموا مرة واحدة عقب زوال تدريجى للبنج بعد عملية الخلع ! لا أستطع أن أتخيل الأمر البتة !

في موعد إستشارتي توجهت الي عيادة طبيب الأسنان وأنتظرت دورى ولما حان دورى دخلت إليه كان يبدو منهك ومتعب وقد رفع عنه الكمامة ليلتقط أنفاسه ربما لمحت وجهه وتفاصيل وجهها لأول مرة له عينان سوادوين واسعة لهما بريق لامع وجهه مستدير أقرب الي أن يكون مربع وشعره ثقيل ويبدأ من مقدمة جبهته شعره أقرب الي أن يكون أجعد قليلاً وله إبتسامه هادئة وساحرة

–مساء الخير

– مساء النور..اتفضلى

وأشار بيده فور قيامه عن كرسيه الي غرفة الكشف ولحق بى

-كيف الحال ..ضرسك مازال يؤلمك؟..

- لا ..لقد تحسن كثيرا مع الأدوية

-واضح .. الإلتهاب خف واختفى كليا .. نقدر نعمل حشوات الضرس

و ابتعد قليلا وسار للأمام وفتح درج كبير وأخرج منه مادة صفراء اللون وأخرى زرقاء ملفوفة في رقائق من البلاستيك الشفاف علي شكل مكعبات والتقط من نفس الدرج شيىء معدنى يشبه الفك الأدمى! ولكنه مصنوع من المعدن!

ابتسمت في نفسى وتظاهرت باللامبالاة

ظل بمكانه لدقيقين راجعت فيهم أنا أسئلة تدور في رأسى أنوى توجيههاإليه

بعدها عاد بتلك الأشياء!

الدكتور : سأخذ مقاس الضرس ليتسنى تجهيز غطاء له يحميه لأطول فترة فبادرت بأول سؤال

-ماهو العمر المفترض لبقاء ضرسى هذا في فمى دون خلع

فابتسم

-لاتخافى سيصمد لفترات طويلة فليس معنى إصابته نفاد عمره

الضرس قد يعيش طويلاً طالما تم انقاذه وتلافى ومحاصرة مسببات تأكله ..أى إنقاذ ما يمكن إنقاذه ..

فتنّهدت وأبتسمت مستبشرة فبادرنى بفك معدنى هائل يوجهه بإتجاه فمى في ألية وهدوء

فابتسمت وكتمت ضحكة بداخلى وأنا أتامل الفك المعدنى وأنظر له فطن لما بداخلى وأبتسم

إنه لموقف محرج أن أقوم بفتح فمى بزاوية منفرجة ليستقر فك هائل كهذا علي فكي المسكين فنظر الي فمى وهو يحاول عقد مقارنة بين حجم المعدنى وفكى بينما أراقب في شفقة علي نفسي

فابتسم في حرج واتجه الي الدرج الأوسط من بين مكتبة قصيرة تضم أدراج عدة كبيرة الحجم وأخرج فك معدنى أخر وتقدم ناحيتى به وأنا أراقب عن كثب !

الدكتور وهو يرى أنه أتي بالفك الأقرب لحجم فكى وفتحت فمي علي الفور ليستقر الفك المعدنى علي فكي السفلى حيث ضرسى المقصود برحلة العلاج من ازالة لأثار السوس فالتأكل ومن ثمة عمل الحشوات ثم قناع إصطناعى بلون الأسنان ليحافظ على عمر الضرس لأطول مدى كما أخبرنى وطمئنى الدكتور

اخرج الدكتور الفك بألية وأمسكه بين يديه وملائه بالعجينة الملونة بإحكام ثم عاد ففتحت فمى وأغمضت عيني وأستقر الفك المحشو بالعجيبة علي فكى السفلى وأخذ يضغط بشيء من القوة علي الفك المعدنى فوق فمي فتوجعت فتحرج وبادر بالإعتذار

–أنا أسف.. ولكن حتى يكون حجم غطاء الضرس مطابق تماما

فنظرت مامى وكتمت توجعى الحقيقى من ضغطه المتكرر علي الفك المعدنى بالعجينة فوق فكى ثم أخرج الفك المعدنى وأنا في حالة صمت وشفقة وأحسست ببقايا من المادة علي فمي وجذبت منديلاً لأمسح أثارها عن شفتى فوجدت الدكتور يساعدنى في ذلك ويزيل بالمنديل الورقى أثار المادة وأنا هادئة لم أندهش وأعتبرتها في إطار عمله ! وسبقنى الي مكتبه و لحقت به في إنتظار أن يكتب جديد في الروشتة ولكنه كان يدون في ورقة خارجية مقاسات الضرس علي مايبدو

الدكتور معادنا مثل اليوم ستكون التركيبة جاهزة يامدام أحلام

–ان شاء الله

وخرجت في هدوء واغلقت باب الغرفة خلفى ! وغادرت العيادة وأنا ابتسم لا أعلم لما وركبت سيارتى متوجهة مباشرة الى البيت وفي الطريق توقفت أمام السوبرماركيت لأشترى بن وزبدة وخبز ومربى وعندما وصلت بيتى لم أجد كريم لم يعد بعد من دروسه وفكرت لو كنت انتظرته لما ذهبت في موعد إستشارتى

فدخلت غرفتى وبدلت ملابسى وتوجهت الى الحمام لأغسل أسنانى وتمضمت مرات بالمحلول الطبى الذى أستعمله وتلاقت عينى في المرآة ولا أدرى لما تذكرت لحظة أن أخذ الدكتور يمسح فمي بالمنديل ليرفع أثر المادة الملونة فابتسمت ثانية وعينى تلمع بالدهشة !جففت فمى ووجهى برفق وخرجت ..

أمسكت بالكتاب الذي تعطلت القراءة فيه بسبب آلم ضرسى المفاجىء وشرعت في القراءة من عند تلك الفقرة التي توقفت عندها ..

في الصباح فتشت عن لورا لأسألها عن قاموس العامية الفرنسية لقد فقدت قاموسى من فترة وأخبرتنى أنها ستعطينى أخر يخص والدها كهدية منها ليّ رغم أن بالمكتبة الكثير ولكنها ربما وجدتها فرصة لتصالحنى بعد خلافنا في وجهات النظر بخصوص مسألة عاطفية تخصها ولم يروق لها رأيى حينها فقبلت عرضها وشكرتها متفاجئة فربتت على كتفى بود ومحبة وتعانقنا وأخبرتها أنى مازالت بإنتظار القاموس

جلست في مكتبى بعدما طلبت كوب من النسكافيه وجلست اتأهب لبدء عملي وإستئناف العمل في مشروعى القائم وأستغرقت بعمل الترجمة للرواية ا كسابقتها ثلاثون يوماً أخذنى الوقت

ووجدت الوقت قد اقترب من الواحدة ظهراً انتبهت علي طرقات علي باب المكتب فنظرت من خلف جهاز الكومبيوتر المحمول اللاب بتوب والكتاب أمامى مفتوحاً

أحلام : اتفضل !..

إنها زميلتها في المركز لورا التي تنحدر من جذور فرنسية , نحيفة بشرتها بيضاء عيناها ملونة تميل الى الزرقة ملامح وجهها دقيقة وقسماتها تميل الي الجدية وفي قاع عينها هماً يتوارى خلف أبتسامة هادئة لاتفارق وجهها ,ترتدى غالبا البنطال وبلوزة قصيرة بلا أكمام وأحيانا بأربطة حول الرقبة فقط وتميل الي قص شعرها كلما تجاوز في طوله الكتفين

بنبرة صوتها العذبة وبلهجة عربية متأثرة بالفرنسية وكما تفضل متجنبة أن تتحدث بالفرنسية في مصر كما أختارت وتردد هذا بإستمرار..

رولا :صباح الخير أهلام

أحلام : صباح النور لورى كما أعتدت تدللها وضحكت أحلام من نطقها حاء أسمها هاء بإصرار من رولا..

وأخرجت من خلف ظهرها مجلد متوسط الحجم بغلاف أزرق اللون مكتوب عليه بخط دقيق ربما هو قاموس العامية الفرنسية وقدمته لأحلام وهى مبتسمة قفزت في مكانها أحلام وهى تتأملها في محبة وعانقتها بحرارة

– سيلازمنى علي الدوام

–أكيد..ضروى

–فهو هديتك الرائعة لي

-لاتخجلينى أهلام! لاترهقى نفسك في العمل!..أرى علامات الإرهاق علي عينك!

-ليس من العمل

فقاطعتها علي الفور بتخمين : الفكر؟ الإنشغال ؟

وجلست على الكرسى أمام : لّما لم تتزوجي للآن ياأحلام؟

- لأننى أخاف

ولم تستغرب رولا فقد سبق وأخبرتها أحلام بتلك الإجاية ولكنها لأزالت غير مقتنعة

فقامت في مكانها ولم تكمل ما تود الحديث فيه فهى مثل أحلام تختار الأوقات المناسبة للإستغراق في الأحاديث الحميمة والخاصة خارج أوقات العمل وقالت وهى تهزرأسها

-سأنتظرك في الكافيه لأن هذا الموضوع يحتاج لوقت وشرح وجهة نظرك كما أنى أريد أخبارك بالجديد عنى مع مارك وهى تمسك الباب بطرف يدها مبتسمة

-أراك في وقت الإستراحة فابتسمت مؤيدة وخرجت

تركتها في حيرة بادية في عينها محاولة طرد خاطر ما يلح

رشفت من النسكافية وعادت تستأنف العمل قربت كرسيها وأعتدلت في جلستها وقربت شاشة اللابتوب قبالتها مباشرة.

في زروة الظهيرة في كافيه المركز حمل الهواء نسمات منعشة ورقيقة من الجهة المقابلة للشجيرات القصيرة التي تظهر من جانب يطل عليه الكافيه طغى علي عطر رولا الأخاذ إن أمرها لعجيب فكلما تحدثت معى عن الحب أجد العطر ينتشر من حولنا إنها رومانسية وعاشقة

تسرف في الحديث عن الحب وأنتشى أنا عائدة خالية الوفاض فقلبي مغلق من سنوات لسبب ربما يعلم به قلبى ولا أدرى !

رولا وهي تتبسم بحب يشغها الوجد مردفة

– قلت لمارك أنه علينا أن نقوم بوضع خطة

–خطة!

–ونبدأها علي أول العام ..نعم ياأهلام خطة !

علي أن يمهد كل منا للموضوع مع أهله ومن ثمه إخبارهم عن نيتنا بالزواج

–وماذا قال؟

امتقع وجه رولا وقالت بتأثر

–قلت لك من قبل أنه رفض

–بلي قولتى ..

– وأنه فضل أن نأجل هذا لوقت وأنا غضبت بشدة وفسرت ذلك علي أنه

– تهرب من وعد الزواج بك

–لكنه أكد فيما بعد معرفة أهله بنيته الزواج منى

– هو صادق معاك يارولي

–ولكن ياأهلام !.. يعلمون أن والدى كان من ألد أعداء والده القدامي فسوف يترتب على ذلك رفض تام للإرتباط بيننا

تنصت أحلام ولاترد خاصة لما بدأ على ملامح رولا من أسي وسخط مردفة

–كنت لأقاطعه قبل أن يقولها !..قالها بوجهى قالها صريحة أن أهلي يرفضون زواجه بي!..

لما يفسد الأهل هكذا حياة أبنائهم ؟ ما شأنهم وقلبين يحب كلا منهما الأخر ؟

وبندم وحنق

–كان يتوجب عليّا ألا أسأله عن رأي أهله في أمر الإرتباط

تنصت أحلام بحيادية لايبدر منها أي ردة فعل

–أنا أحبه وهو أيضا لما لانرتبط طلما نريد ؟!..صمتت لدقائق وهى تتأمل عيني تستوضح وتتأكد من شيىء واستطردت ..

–وضع النساء متشابه غالباً في مختلف الثقافات ياأحلام

فثمة قيود تفرض علينا جميعا رغم ما نحقق ونعايش من أجواء أقرب الي أن تكون هي السوية يتسيدها الوعى والنور والثقافة

–لكن رأيك الذى أختلفت معك بصدده لم يكن خاطىء بل هو الصواب

وربما هذا ما دفعنى لأثور وأغضب عندما قولتي أن الحب يختنق بالإرتباط

وقبل أن ترد أحلام في محاولة لتوضيح ما كررته رولا وما كنت تعنيه بقولها ولكن رولا لم تحتمل أن تطيل الحديث في الأمر فرأت أحلام أن التوقف عن الكلام في تلك اللحظة هو

أفضل ما يمكن أن يحدث وبدورها أشارت بود من مكانها الي فنى تشغيل الأغنيات والموسيقى في الكافيه وإذا به على الفور يؤمى برأسه مجيبا وتفاجئنا موسيقى الخريف لشوبان والتى أخذت حيزاً المكان والكلام فجلسنا ننصت اليها ونحن نحتسى قهوتنا..

طرقت باب غرفة كريم الذي ظل نائماً من بعد أن عاد من دروسه قبيل السادسة مساءاً الي العاشرة مساءاً قلقت عليه واقترب لأوقظه وجدت صوته صافياً وهو يرد عليّا فعلمت أنه مستيقظ

وطرقت باب الغرفة مجدداً بتردد ملحوظ لأترك له حرية الرد علي

وما أن أستدرت مبتعدة عن الباب وجدته قد أشغل النور وتناهى صوته الى سمعى

صوت كريم: ثوانى فقط ياماما وألحق بكِ ..

-كان من الجيد ألا ألح أذن في طرق الباب

وبعدما تناولنا العشاء تجنبت النظر في وجهه فضلت أن يخبرنى ما به فليس من عادته أن يستغرق بالنوم من هذا الوقت ولكنه ظل صامتاً فإستاذنته وتوجهت الي حجرة مكتبي دون أن أعرف أو يخبرنى هو وذلك لأنني علي تمام العلم بأنه سيحدد اللحظة التى سيراها هو مناسبة وحينها سيخبرنى .

وأستغرقت هي في القراءة والقيام بتسجيل الملاحظات دونما أن تشعر بالوقت..

في الحادية عشرة والربع عاد جمال الي بيته في مثل موعده من كل يوم بعد إنتهاء عمله في العيادة فتحت له نهي مبتسمة بدالها الإبتسامة ودخل مباشرة وأغلقت هي الباب ولحقت به تتبعه وهو يميل برأسه الي ناحية وهو يسأل بإعتيادية في إهتمام وشوق

-البنات فين؟ أتمنى يكونوا مستيقظين

هزت نهي رأسها في دلال وضحكت بمرح وهي تمرر كفها علي ذراع جمال بحميمية

-انتظروك ولكنك تأخرت كالعادة !

فيتظاهر جمال بالإستغراب يبدو أنه نفس ردها عليه في كل مرة فينظر بشيىء من التأثر يود لو يعود فيلحق بهم قبل أن يذهبوا للنوم وبإستسلام يدخل جمال مباشرة الي الداخل يخلع جاكيت ويعلقه علي الشماعة ويشرع في فك أزرر القميص بتململ ويبدو عليه الإرهاق فيجلس علي طرف السرير ! في حين قد توجهت نهي الي المطبخ تعد له العشاء كالعادة وفي مثل هذا الموعد يتناولا عشائهما معا ويظلا قرابة الساعتين يتحدثان بشأن كل ما حدث وجد بخصوص البنات وماحدث لكلا منهم خلال اليوم جمال وهو يتثأءب ويغالب النوم يسير ببطء متسللاً الي غرفة ابنتيه التوأم مي ومنة ويقصد سرير مي بعد منة يضع قبلة علي جبينها هي الأخرى ويمسح بكفه علي شعرها ويجذب الغطاء حتي أذنهن ويتراجع في هدوء خشية أن تقلق إحداهما ويظل لدقائق يتأملهما وهما نائمتان كلا في سريرها يتأمل وجوههم البرئية وعيونهم المدهشة وهي تغفو في عالم الأحلام وخصلات شعرهم تتدلي علي جبتهم بحرية تمتلاء عينه بالحب والشفقة والحنان عليهمن ويتراجع قليلا للخلف ليجد نهي خلفه تتامله بحب وتنحني علي كتفه في دلال فيجذبها برفق من يديها ويتوجها الي غرفة نومها .

عند الثالثة عصراً من كل يوم يحل وقت الذروة في العيادة حتى الحادية عشرة مساءاً وذلك ليتجدد يوم شاق ومرهق ففي الإنتظار عدد كبيرمن المرضى ومرافقينهم من مختلف الأعمار وجوه تئن في صمت وأخرى صامتة في تململ وجباههم مقشعرة إنه ألم الأسنان الذي لايرحم ولا يفلت منه صغير أو كبير!.

نسمات الشتاء تتسلل الي داخل العيادة عبر النوافذ المفتوحة فتقوم احدى السيدات وتغلقها بإحكام خشية أن يسقط منها طفلها الذي يدور حول الكراسي ويقفز ثانية فوق الكرسى المجاور

لها فينظر الطفل اليها بإستياء فتهدهده وتجلسه علي حرجها بينما أنا أمسك مجلة أقطع بها رتابة الجو وبطء الوقت وظهر شاب في أواخر العشرين يصطحب سيدة كبيرة في العمر تئن تحت وطئة آلام أسنانها علي مايبدو عينها زابلة وخديها غائرين ووجهها شاحب ترّجل الشاب بإتجاه السكرتيرة بعد إلقاء التحية علي الجميع ولم ينتبه إلا أنا فقمت بالرد وجلست السيدة قبالتى صامتة مستغرقة في أنين أسنانها

الشاب: عيادة الدكتور جمال عبد الحميد ؟

فتبسمت السكرتيرة وردت بالإيجاب وهي تؤمىء برأسها في إعتيادية مبالغ فيها! وسألها همساً عن قيمة الكشف وعلي الفور مد يده ببعض النقود اليها فقامت بتدوين أسم والدته الذي قاله بصوت خفيض وهو ينظر ناحيتها وإسترعى إنتباهى أسم طبيب الأسنان جمال عبد الحميد لأول مرة أنتبه لاسمه!
أعرف أن اسمه جمال ولكنني لم انتبه أن هذا الأسم منفصل عن صفة الدكتور كنت أعتبر اسمه جزءاً من عمله ولقبه الدكتور جمال ! أم أن حالى عند دخولى العيادة أثر علي معنى اسمه وإدراك أن اسمه يختلف عنه شخصياً

–جمال !.. اسمه جمال عبد الحميد أم الدكتور جمال عبد الحميد!.. وما الفرق بينهما إذنً هو اسمه علي كل حال ولكنني لم أكن أتوقف أمام مسألة فصل اسمه عن لقبه !..

وفجأة قطع علىّ خاطري صوت السكرتيرة التي نادت عليّ فقد حان على ما يبدو أخيراً دوري ! فقمت من مكاني وتوجهت في ألية الي غرفة الكشف وهي تقول لي

–دروك يامدام أحلام !.

أحلام !. أم مدام أحلام ! كم أكره هذا اللقب قبل اسمي ولكن ماذا ستقول لي هل أكتب قبل أسمى الأستاذة أحلام المترجمة بالمركز الثقافي الفرنسي وقد قمت بترجمة باقة متنوعة من روائع الأدب العالمي والفرنسي خاصةً ؟!.. ودخلت غرفة الكشف وعيني منشغلة مع خواطري وجدت الدكتور يرحب بي فانتبهت

-أهلا مدام أحلام

فنظرت له وابتسمت بعفوية وأخفيت تعقيبي فهذا ما كنت أردد بيني وبين نفسي من برهة وأقل!

-اهلا يادكتور مساء الخير..

جمال : مساء النور ..اتفضلى

وظل جالساُ خلف مكتبه فإستغربت وأخفيت ذلك وجلست أمامه

- أنا في غاية الحرج من حضرتك

-لّما؟!

-لم يرسل لي المعمل الطربوش !
فتغير وجهي وأردفت قائلة وعلي مضض

لو كنت أعرف لّما أتيت اليوم-

-أكرر اعتذارى .هل رقم تليفون العيادة معكِ؟

معي بالفعل ولكن أحيانا لا أجد رداً وقد تكرر هذا مرتان -

فمد اليّ بكارت يحمل اسمه به رقمين له

أخذته منه ونظرت في الكارت وأنا اقرأ اسمه في سري وانظر علي وجهه وكأني أطابق الأسم مع الشكل !..ووضعت الكارت في حقيبة يدي وهمّمت بالإنصراف بينما هو ظل مكانه ينظر اليّ مبتسماً فقلت له بود وإمتنان لرفع حالة الحرج التي بدت عليه بالفعل

–أستاذنك فابتسم علي ما يبدو لتقبلي أبعاد ذلك الموقف أو لسبب آخر إذ لّمحت بعينيه بريقاً لامعاً تصاحبه إبتسامة متأنية ونظرة موسعة عليّا وذهبت وأنا أود لوماأغادر المكان.

في ضوء خافت إلا مما تحدثه إضاءة شاشة التلفزيون المدار تتبدل اللقطات فتترواح مستوى الإضاءة لها تجلس أحلام مستغرقة في متابعة برنامج تلفزيونى بإنتباه وتركيز وفجأة يظهر كريم قادماً من غرفته ويتسلل في هدوء وهو يرمقها مبتسماً في محبة ويقوم بالجلوس بجانبها فتنتبه وتبتسم دونما أن تلتفت ناحيته فيقوم بسحب ريموت التلفزيون فيضحكان

فألتفتت ناحيته وإستشعرت أن تلك اللحظة قد حانت! وهى أنه يريد أن يبوح لها بشيىء والأن ؟!

فبادرته مازحة

–ولكنني اليوم لست علي ما يرام وغير قادرة علي سماع أخبار مشاكساتك مع زملائك في المدرسة !.فانفجر كريم ضاحكاً وبلامقدمات أسترسل في الحديث

هشام دائما ما يسىء فهمي عن عمد

فتراجعت أحلام مستندة للخلف تنصت في جدية وإستنكار

–هشام أقرب أصدقائك اليك وأنت تختبر صبره علي الدوام!

– يميل لإظهارى عنيف وسريع الغضب!

– هي الحقيقة ياكريم!

هشام صدقك وعليك التأني في تقدير ووزن المواقف حتي لايصدر عنك ردات فعل غاضبة تصل الي العنف

مدافعاً عن نفسه يلتمس الحياد من جانبها

–ولكنني ياماما لست عنيفاً ؟

ويقشعر جبهته في تأثر فتميل أحلام ناحيته وتداعب مقدمة رأسه وتهز شعره بطرف إصبعها مداعبة إياه

–العنف له مظاهر كثيرة

–الكلمة الحادة عنف والقاسية عنف مضاعف وتعمدها هو كل العنف

من الكلمات ماهو أشد ضرواة من تسديد اللكمات ياكريم!

ارفق بصديقك ..

إمتلاكك لصديق وفي ومحب من أروع ما يمكنك الإحتفاء والزهو به

لو أعانكم الحظ تبقي هذه الصداقة علي إمتدام العمرو تتضاعف وتتنامي الذكريات الطيبة بينكم وتصمد صداقتكم في وجه التحديات

وطالما يخلص لك فبإبتعاده عنك لسبب متعلق بك يعد أكبر خساراتك صدقنى!

كريم ينصت لها وهو يتفكر في كلامها عن كثب..

جمال يجلس بين بنتيه يشاهد معها فيلم كرتون في حالة ترقب وتشويق كبيرة

تقفز منة وهي تضبط جلستها علي أحد رجليه فيساعدها وتحكم جلستها ويضمها في حنو وحب بينما مي تستند برأسها علي صدره وتكاد لايتحرك أيا من جفنيها وهي تراقب تحرك الرسومات الملونة والمتحركة بمتعة وإبتهاج في صمت مشدوهة

تأتي نهي من الداخل تحمل القهوة وطبق ملىء بالسندوتشات تضعه علي طرف الترابيزة قبالاتها وتناول مي سندوتش بينما منة تهز رأسها برفض فتنظر نهي لجمال في إشارة الي أن يجعل منه تتناول السندوتش وبينما الطفلة تلمح بعينها ما يجري فتنظر لأمها بعتاب وتذمر يضمها بحب حنان دون أن يتكلم ونهي ترمقهم بعتاب وهي تبتسم وتهز رأسها هي الأخري ولكن بإمتعاض ومرح وتلجأ لمشاركتهم المشاهدة .

تصدع الموسيقي المرافقة للفاصل فيجدها جمال فرصة للقيام والدخول الي غرفته بينما تتبعه نهي ومنة ومي ينتظران عودة الفيلم الكارتونى

2

أثناء إجتماع شهري يعقد مسيو ميتران إيمانويل رئيس المركز الثقافى في جو شاعرى وساحر عقب إنتهاء الإجتماع الذي تضمن نفس التوصيات التي يؤكد عليها مسيو ميتران علي ضرورة اتاحة الفرصة لكل زوار المركز والعمل علي إجتذاب ومضاعفة محبي الآداب الفرنسية بتوفير الكتب التي يطلبها ويبحث عنها مرتادى مكتبة المركز وأصحاب العضويات خاصة وإتاحة الفرصة بكل جدية لمن يرغب منهم في زيارة الجمهورية الفرنسية . والأورع منه وهو ما أنتظره منه وأحبه تأكيد مسيو ميتران علي مكانة مصر في وجدانه ومن يوم التحقت بالمركز ألّفت منه إعتباره مصرياً وُلد في فرنسا كدلالة علي إعتزازه بوجوده في مصر هو رجل عظيم بحق

ومثقف علي نحو مذهل لاأكاد أنسى لأعاود السؤال عليه كيف يحافظ علي بريق عنييه أمام عدد الساعات الكبير الذي يقضيه في إلتهام الكتب فيبتسم مثل كل مرة ويخبرني أن حبه وشغفه هما من يحافظان علي سلامة نفسه وقوة إبصاره لكم يسعدني منه حديثه المفعم بالحب والإعتزاز بوجوده بيننا وأنه كل عام يحتفل مع زوجته وابنيه بيوم إخيتاره ليكون سبباً علي حد وصفه في مد جسور التواصل بين ثقافة بلدين عريقين كمصر وفرنسا أما الصور التي يلطقتها للأماكن هنا وله في شوارع القاهرة القديمة ومع أهالى أسوان والأقصر وهو يتجول بينهم هناك .

كان يوماً ممتعاً ومرهقاً في آن واحد حرصت فيه علي تجنب مجرد النظر الي حيث تجلس ليليان بينما جاء عزيز وحاول الحديث معي مختلقاً أي موضوع وهو مدرك تماماً لعيون ليليان التي تراقبه وهي في حالة إستنفار وتربص ربما راق لها تجاهلي له وتجنب الحديث معه واستغرقت بالحديث مع مسيو ميتران ومساعديه بينما ظلت رولا صامتة طوال الوقت وشاحبة أيضا

ماذا تفعل فينا نبضات قلوبنا عندما تتأرجح مستويات الحب ؟..مازال خلافها مع مارك يؤثر عليها وكل يوم يمر يباعد بينهم فينعكس أثره على وجهها وعيونها

يجب أن أغبط نفسي قليلًا علي أنني خالية القلب أنام بملء عيني وأصحو علي أول رنة للمنبه

كان صوت كريم يتردد في الصالة وأنا واقفة في المطبخ وهو يراجع احدى دروسه بصوت عال

بينما أنا أترقب نضج الكيك حائرة بين تركها لدقائق أخرى والعودة لقراءة الفصل الأخير من

الرواية التي أعكف علي قراءتها من إسبوع مضي

وصوت كريم يعلو أكثر يبدو توحد مع أجواء المذاكرة خاصة وإمتحاناته قد إقتربت

فتحت الفرن لمحت إحمرار وجه الكيك وإختبرت نضجها بعود الخلة فأغلقت الغاز وقمت بإخراجها على الفور من الفرن لتهدأ ورفعت طبقين من الحجم الصغير وشوكتين علي أمل أن تبرد حتي أعد الشاى

وضعت قطعتين في كل طبق مع الشاى وأتجهت الي الصالة وأدرت جهاز التلفزيون وناديت –كريم ؟

صوت كريم من الداخل

– ثواني ياماما

–تعال .. تذوق الكيك !..وخذ لك فاصلاً وتستريح قليلاً ثم عاود مذاكراتك

فجأء مسرعاً وتهلل وجهه وهو يرمق الكيك بشهية قائلاً

–الأجمل من طعم الكيك هو تلك الرائحة الرائعة

فناولته طبقه وأنا أشتم رائحة الكيك من طبقى بينما كريم يبتسم وهو يلتهم أول قطعة ويرشف الشاى بتلذذ

–يقولون أن العين تأكل قبل الفم

فصاح مؤكداً

–هذا حقيقي ألا ترين؟!

وضحكنا ..

–لا أدرى لّما تذّكرت لحظتها طبيب الأسنان هل لأن السكريات تضر بسلامة الأسنان !

أم لأن موعد الذهاب لتركيب الطربوش فات من إسبوعين وأكثر وأنا أتردد في الذهاب تارة وأتكاسل في أخرى!

لم أحظ أن كريم قد قام ودخل غرفته وعاود مراجعة الدرس بصوت عال يبدو مر وقتاً حتي أن صنية الكيك والشاى ليست أمامي ترى كم مر من وقت أنا مستغرقة في تفكيري هذا؟!

وتراءي أمام عيني نظرات جمال ! وأنا أهّم بمغادرة غرفة الكشف في أخر مرة

تحسست موضع الضرس بطرف إصبعى لقد تعافى تماماً وأري أنى لست بحاجة الي زيارة الطبيب والتوجه ثانية الي العيادة !

والطربوش؟!

–فلقد تحسن ضرسي وماعاد يؤلمني ولافائدة كبير لذلك الطربوش كما أن وقتى ضيق ولا

أطيق الجلوس ساعة وساعتين أحيانا في غرفة الإنتظار حتي يحين دوري !

هرولت الي مكتبى وأنا احمل بعض الزهور التي أحببت أن اجعلها أمامى في مكتبى لتساعدنى في الولوج في أجواء الكتاب الجديد الذى سأشرع في عمل الترجمة له وهو كتاب عن علاقة الزهور والتشافى من بعض الأمراض إنه موضوع حقاً مهم ومشوق ويتملّكنى الفضول للإطلاع

عليه قبل أن يكون بصدد كتاباً ينتظر الترجمة وكفي !..

وجدت قبالتي رولا تبدو في حالة جيدة ترتدي بلوزة روز وبنطلون أبيض وشفاهها ملونة بأوراق وردة بلدى باللون البمبى ووجهها مضىء بإبتسامة مشرقة تهللت لرؤيتها بهذا الحال فابتسمت

رولا

–صباح الخير أهلام

–صباح الخير رولا

وعلي استحياء مالّت علي باقة الورد بيدي تستنشق عبق اريجها وسبقتني في الدخول لغرفة مكتبي

صوت رولا متناغم وجميل هل الفرحة تجعل أصواتنا بهذا الصفاء والدفء

رولا: مارك أخبر أهله وقد وافقت والدته وهي في الطريق لإقناع والده

قبلتها بحرارة وابتهجت فرحة لها

–هذا خبر جميل والأجمل أني قرأت أثره في عيونك يارولا

أنتِ عنيدة وصبورة استطعتى أن تدفعي بالتأنى والحكمة موقف يقرّب اليكِ فرحتك وسعادتك مع من أحببتي

رولا: الحب معركة وليست حلم جميل من لم يشحذ كل قواه ليفوز بسعادته فإنها ستضيع ويهرب الحب

الحب يولد والتحديات حوله مثل الاشواك علينا أن نقوم بمسؤليتنا تجاه الحب

وأن نحافظ عليه ونحل المشاكل الواقعة علي جانبيه والصبر في علي جنى الثمار

شردت وهي تتحدث وتساءلت في نفسي

–هل الحب في منظورنا يختلف عنه لدي الأخرين ممن يعيشون في العالم الأول ؟

هل لأن لورا فرنسية فهى تفهم وتتعامل مع الحب بتلك النظرة وهذا المفهوم؟

أم أن الحب ومفهومه طرأ عليه أشياء أخرى لم أجربها أو تختبرني بعد ؟

لا أفهم لماذا تتحدث بكل هذا التعقيد عن الحب؟
فلمحت لورا شرودى ولأنها فطنة فعلا وذكية استشفت إستغرابى من الخطبة العصماء لها عن الحب !

مارك هو رجلى والحب قد أختار قلبي وقلبه ولن أفرط في فرصتى مع الهنأة والسعادة وسأظل أراعيه وأدافع عنه وأحميه و أما ما يقف أمام حبي فليس من حقه التواجد أصلا أو أن أتركه بلادفع فأنا لاأتقبل وجود ما من شأنه تعكير نفسيتي ولا إظهارى كمن لا حيلة له فلو كنت اشترى فستاناً ولم تتهيىء الظروف لأقتنيته لأى سبب لربما فرطت فيه وأقتنيت الأجمل أو عدلت عن الفكرة فلدي غيره في خزانة ملابسى والتي لم أرتدى بعضها قط ولكن مع الحب فالحال مختلف تماما

كلنا يولد ليعيش ما بقي من عمره علي أي نحو سيكون إنما الحب يلدنا في كل مرة ليقرر لنا كيف سنمضي ونعيش

الحب مثل الإبن يولد بداخلك ويلدك من جديد وأنا لاأفرط في مرة أولد فيها من جديد لأي سبب وربما حزنت بشدة عندما أخبرنى أن والديه غير موافقين علي إرتباطه بي لأن جدي لوالدى كان في عضو مؤسس بحزب سياسي موالى للنازية ويعتنق الفكر النازى لاافهم عقول هؤلاء مادخل ما ينتهجه ويعتقده أبائنا وأجدادنا بمصائرنا نحن واختياراتنا وميولنا وعواطفنا خاصة

هل لو كان جدى شيوعياً سيتم تسديد السهام بإتجاهى عن ما هو أن أمى تدين بالمذهب البروستانتى؟!.. كيف يفكر هؤلاء ؟!

ليس معنى هذا أن أحب يوماً هندوسياً أو مسلماً ولكن الحب قد يتخطي مثل تلك الفوارق

قاطعتها أحلام في هدوء وبشيىء من الإستنكار

–وهل لو أحب ولدك فيما بعد مسلمة هل ستمانعين مثلما فعل والديا مارك في البداية؟

تنبهت رولا أني قد أستئت مما قالت فترددت قليلاً وشردت لبرهة وقالت

–هل والداه محقين بالفعل ؟..وأن نظرتي للحب حالمة وبعيدة عن حسابات الواقع والمنطق؟!

تنبهت رولا أن والدا مارك ربما كانا محقين في أسباب رفضهم لزواجه منها

وتجاوزت كل هذا وبادرت بسؤالي

–وهل هذا الزواج سيصمد أمام تلك التحديات ؟.. لاأريده أن يفشل لأى سبب كان

ابتلعت ريقي وتظاهرت أني أنسق الورد داخل الفازة

وهمست في نفسي

–بعض مساؤى غالبية الفرنسيين هو ذلك التعصب الأعمى تجاه بعض الأمور وأبرزها مسألة الأديان والفوقية الغير مبررة علي الأخرين !..

3

ماكاد كريم ينتهي من إمتحاناته حتي انطلق في التدريبات في النادى والتنزه مع أصدقائه وصار يغيب عن المنزل كثيرا وأنا أتظاهر بعد التململ من ذلك

رن جرس التليفون رفعت السماعة

–ألو؟..

جاء الصوت علي الخط الأخر

–مساء الخير..صوت لرجل !

–مساء النور!.. مَن؟

–حضرتك لم تأتى في موعدك

فقاطعته بإستغراب وضيق وأنا أحاول تذكر صاحب الصوت فقلت في حزم

–معذرة .. من أنت ؟

تهلل وجهي وخفق قلبى بشدة ولاأدرى لما

هل لإنه جمال؟!

أهلا يادكتور جمال..–

وانصت له وأنا متعجبة للحالة التي تلبستني

تظاهرت بالثبات وبالكاد حافظت علي نبرة صوتى هادئة وثابتة

–لقد أنشغلت مؤخرا ولم أستطع المجىء الي العيادة

–الاربعاء القادم؟

سأأتى ..–

–شكرا جزيلا ..مع السلامة

أغلقت الخط وأنا لاأصدق نفسي ولا أجد رداً علي سؤالي

–ماذا بىّ؟!

ولما أنا فرحةً ومرتبكة علي هذا النحو؟

ولما أتصل ؟

سرني اتصاله ولكن لما أتصل

هل لأجل الطربوش؟

هل هو يعتاد الإتصال بمرضاه تلفوينا لتذكيرهم بمواعيد الزيارة؟!

لاأقوى علي جمع شتاتي !

جمال!

هل أسمه لائق عليه ؟!

ولما لا وما هذا الطرح ياأحلام!

لاأدرى فأنا مرتبكة بشدة ولاأدرى حتى أن اتصاله أحدث بي حالة لاأدري ما أسمها

ولما ابتسم هكذا بإستمرار؟!

قهقهت وأنا أسخر من تدافع الأسئلة علي خاطرى وجلست مكانى وأنا اتأمل أمامي في اللأشيىء!

جمال يقف مكانه والتليفون في يده وهو شارداً وعينه تلمع وفمه ثابت علي ابتسامة هادئة ولكن

شفتيه ممدوة قليلاً للأمام بشيىء من التعجب والدهشة معاا..

ينتبه جمال فيضع التليفون علي المكتب ويجذب الكمامة علي أنفه وفمه ثانية وهو يجيب علي طرقة علي باب غرفة الكشف

جمال : أتفضل

فيظهر رجلاً في الخمسين يدخل علي عجلة ونصف فمه ساكن ونصف شفته ترتعش وهو يشير ً عليها بسبابته قائلا

الرجل: نصف وجهى مخدر تماما يادكتور

فيؤمى جمال برأسه موافقة ويسبقه علي غرفة الكشف وهو يقول

جمال: عظيم .. اتفضل..

يدخل الرجل ويتبعه جمال بجدية..

رولا تسير في الردهة المقابلة لأول الممر المؤدى للمكاتب تطل بترقب وهي تروح ذهاباً وجيئة ويتدافع المتواجدين في المكان علي الردهة للمرور من خلالها الي الكافيه يبدو أنه وقت الراحة في منتصف العمل وتظهر من بعيد أحلام فتتوقف رولا مكانها وعينها علي أحلام التي ما أن تقترب من رولا ترسم ابتسامة علي شفتيها ولكن بعينها عتاب علي رولا يغلبه لطف كبير يغطى علي طبعها في تعاملها مع الأخرين فتتوقف قبالتها

أحلام :منتظرة مارك

فتهز رولا رأسها برقة وعلي استحياء تجذب يد أحلام ويتوجها الي الكافيه ويجلسا قبالة بعضهما البعض

وكلا منها تترقب بدء الحديث الذي تسبقه نظرات العتاب من جانب أحلام والأسف والحرج من جانب رولا

رولا : فكرت في حديثى الأخير معكِ عن الحب وفكرة أن أتقبل حب شخص من غير دينى !

قاطعتها أحلام لرفع الحرج قائلة

أحلام هذا موقف وقناعة لدى الكثيرين ولا ألومك عليها بل علي إنكارك هذا علي والدا مارك بينما أنتِ لديك نفسك الموقف والنظرة تجاه البعض ممن يختلف معك في إنتمائه الديني والعقائدى وحتى توجهه السياسي!

هل نحن نقاتل علي الشيىء ونقضيه يارولا على حسب مصالحنا نحن؟!

رولا: وهل هذا ينطبق علي موقفى مع والدا مارك ؟..

صمتت أحلام ولم تكمل حديثها في ذلك الموضوع حتي لاتغضب رولا المقدمة علي الزواج قريبا والتفت أحلام ونادت علي الجرسون

الجرسون : تفضلى؟

ونظرت لرولا لتخبر الجرسون عم ماذا ستطلب ولكنها شردت بعيداً لبرهة

فنظرت أحلام للجرسون وقالت فنجانين قهوة فرنسية!

فتنبهت رولا وابتسمت في حرج

وقف جمال يتأمل نفسه أمام المرآة كمن يتناول حديث مطول مع عينيه

ابتلع ريقه وهو يبتسم علي استحياء وعينه قلقة قليلا ثم استدار هارباً مما يطل من عينه!

فتح دلفة الدولاب وعلق جاكيته مكانها واستدار وظل مكانه يحملق بالمرآة من بعيد وهو يغالب فرحة تتدفق بداخله ويتنهد مبتسماً ويستسلم لخاطر ثابت بداخله ويواصل تبديل ملابسه في انسجام وهدوء قبل أن تفتح نهي الباب بعد طرقة واحدة يلتفت علي أثرها جمال بتردد ناحيتها وهو يهرب بعينه منها ! نهي تدلف الي داخل الغرفة وهى تتمايل أمام المرآة بدلال وغواية وهى تنظر لجمال من خلالها فيبتسم لها بدوره ثم يخفى وجهه في البجامة وهو يهم بإرتدائها..

4

أحلام تتكفىء علي مكتبها مستغرقة في عملها ويمر وقت طويل علي وضعيتها علي مايبدو فترفع رأسها بإمتعاض متألمة وهى تحرك رقبتها يميناً ويساراً برفق وهي تغمض عينيها المتعبتين وهي تتنهد بثقل وتثبت عينيها علي أثر خاطر داهمها فتقاومه بحزم وتواصل عملها في جدية بينما تلمع في عينها آسى وضيق فتهض وتغادر غرفة المكتب لتقف في الردهة تتنفس الصعداء وتسير لأخر الممر في وجهة معينة وتتجه يميناً الي الكافيه ثم الي الحديقة الخلفية الصغيرة للمبني وتقف في جانب منها تتنفس بعمق وسط نسمات الهواء القادمة من إتجاه الشجيرات المورقة وأريج الزهور المتفتحة علي فروعها تتنفس أحلام الهواء بلاهاث وتتنقل ببصرها بين أفرع الأشجار والأغصان كمن يود لو يختبئ بين الأوراق

أحلام تهرب من الخاطر المسيطر عليها منذ فترة وتدفع بنفسها الي العمل دفعاً ليسلب كل حيوتها ولايبقي للخاطر من قدر يتعايش عليه ويتنبه علي أثره تدفع بنفسها الي أعلي مستويات من الإرهاق حتي لايبقي أمام نفسها إلا الراحة وكتم الخواطر في دوامة التعب من العمل فالعمل علاج شاف للوحدة والحيرة والأزمات النفسية أحيانا ولكنه أبداً لم يكن ذا جدوى أمام الشعور بالحب بل علي العكس الحب هو من يبدد التعب ويزيح الهموم ويجلب السكينة والأمان ويستدعي في أنفسنا السرور والفرح

ولكنها عزمت علي المقاومة واستسلمت لعناء العمل الطويل

يطول صمتها وسط ترقب كريم أن ترد عليه فيكرر عليها وهو يقف أمام باب غرفته

كريم: ماما؟!

ثم صائحاً وبذهول

ماما! وهو يلوح لها باحدى يديه ليلفت إنتباهها بينما هي شاردة بعيداً

أحلام :لماذا تصيّح ؟!

وبإستياء هل ترانى صماء ياولد!

يرتبك كريم ويخفض بصره في حرج

يكرر سؤاله بتفهم متوقعاً أن تكون أمه منزعجة لأمر ما لايعلم فيقترب منه

عمى أتصل بي ليلة أمس ويريد أن يقابلني لأمر هام

وبذهول وضيق لقد أخبرتنى بهذا !

كريم ويوقن أنها لم تسمعه مطلقا وقد بلغ بها الشرود والضيق مبلغاً ويجلس قبالتها ويعيد كل ما قاله..

كريم : ماما عمي أقترح علي أن أذهب لقضاء الأجازة مع أبناء عمي !

تنتبه أحلام لما يقول فترد بإنفعال وضيق بالنفى

أحلام : لاتذهب الي هناك يكفيه منك أنك تعامله تلك المعاملة بعد كل ما صدر منه بحقنا

تأملها كريم بفضول وقلق ! وبإستدراك

كريم : أبلغته بهذا

أحلام: وماذا قلت له؟

كريم : أني لا أستطيع ترك أمي لوحدها

تبتسم أحلام تربت علب كتفه بقوة وحب وتخفض عينيها بتوتر وتستأذن منه وهي تتجه الي غرفتها

أحلام : أشعر بإرهاق سأدخل لأستريح

كريم: التعب واضح عليك !.. انتبهى لنفسك ولاترهقى نفسك في العمل

أحلام : العمل لايرهقنى ياكريم

العمل هو الراحة من كل تعب!

كريم ينظر عليها بقلق

تصبحين على خير

أحلام : وأنت بخير.

تتمدد أحلام بعناء في فراشها ورأسها مثقل بالأفكار ونفسها بالخواطر تحاول الإستسلام للنوم الذي لايقترب من عينها

تتنهد بضيق وتتمدد في مكانها وتجذب الغطاء علي كتفها تتهيئ لقدوم النوم عسى أن يغلبها وينقطع سيل خواطرها وأفكارها ولكنها تظل تتقلب في سريرها وقد سيطرت عليها حالة من الأرق والضجر فتزفر بضيق وتغلق عينها بثقل!..

ليليان قادمة في أول الردهة المودية الي المكاتب بقوامها الفارع تسير في شموخ وبنفس أناقتها المعهودة تبتسم بإقتضاب وعيناها الواسعتين تمتلاء بالخواطر المتضاربة وتستوقفها

ليليان: أحلام ! صباح الخير

تتوقف أحلام وتبتسم في رقة وتحفظ

أحلام : صباح النور

ليليان : مابك؟

أحلام : لاشيىء! أنا بخير

ليليان تبدين متعبة و الأرق باديا عليك

أحلام تتأملها بإستغراب في صمت

تبتلع ريقها بصعوبة وهي تزفر بضيق وحرج ثم تقولها بلامقدمات ومباشرة

ليليان : أود الحديث معكِ بخصوص عزيز هل يمكن أن نجلس سوياً وقت الإستراحة في الكافيه؟

تنصت أحلام ولاتستغرب أو تبدى شيىء وترد علي الفور

أحلام : ولكنني كما يظهر عليّ متعبة وأكلنى الأرق ليلة أمس ولليال متوالية!

تتفحصها ليليان بفضول متسائلة

وما السبب؟..وقد تأثرت بشرتها وهيئتك أيضا

أحلام ترد منزعجة

-وهيئتى؟!

بتردد وحرج

ليليان : أقصد أنكِ في غير حالتك المعتادة فقط!

بود وتفهم وهي تحاول إنهاء الحديث

أحلام: نتحدث وقت الإستراحة

بإمتنان وهي تؤمئ بلطف مبالغ فيه : ستجديني في إنتظارك

تبتسم أحلام وتمضي في وجهتها الي مكتبها في حين تواصل ليليان سيرها للأمام الي أخر الردهة ومن ثمة تنحني الي الممر الثاني المؤدي للدور للطابق الثاني المخصص لإنعقاد الإجتماعات والإحتفاليات ..

تستقر أحلام علي كرسيها منزعجة وهي تسترجع وصف ليليان لحالتها فتنظر أمامها بحنق وتوتر وتطرد الفكرة في لامبالاة وتهم في بدء عملها ..

صوت بكاء طفل صغير يتردد في أرجاء المكان وأبيه الذي يحمله يحاول تهدئته بلا جدوى تظهر شابة لدي باب غرفة الكشف تخرج صامتة مستستلمة لألم عابر فتحمل الطفل عن أبيه ويخرجا سويا من باب العيادة لتنادي السكرتيرة علي أسم أخر ويتأهب للدخول في دوره

جمال يقف بجوار الجهاز في حالة تأهب وهيئته توحي بالذبول ووجهه عابس

أحد المرضى ينادي عليه من خارج غرفة الكشف فيرد جمال بصوت أجش به حدة

جمال : اتفضل ..تعالي

فيتجه المريض ناحيته مباشرة عابراً الباب المفتوح المؤدى للغرفة حيث ينتظره جمال فيجلس الرجل قبل أن يخبر جمال بمايشكو فيطل جمال في وجهه منتظراً أن يخبره..

5

تداعب والدة نهي منة بينما مي تأتى بعروستها من الداخل وتهرول بإتجاه الجدة وهي تنظر لمنة بلوم

مي: تيتا .. منة قصت شعر عروستي ومزقت فستانها بالمقص ورسمت بالقلم الأسود الفلومستر علي وجهها

الجدة تتأمل العروسة بإستغراب وقد أفسدت منة وجه الدمية وشوهتها برسم حاجبني عريضين غير متساويين لها ورسمت دوائر متداخلة علي خديها كما مزقت بالمقص جدلتيها !

إلتفت الجدة الي منة بعتاب وهي تقرب وجه الدمية ناحيتها قائلة

الجدة: لما يامنة !

منة: مي من فعلت أنا قمت فقط بقمص الشعر

الجدة والرسم ؟.. أنتِ من رسمتى يامي؟

أومئت مي برأسها وهي تتأمل وجه الدمية بإستغراب يبدو أنها وهي تمسك بقلم الألوان لم تكن لتتخيل أن تكون النتيجة هكذا!

الجدة : ولما قصصتى شعرها يامنة كانت أجمل وشعرها طويل

مي : أنا من قالت لها أن تقصه

فتبسمت الجدة بحيرة وأردفت قائلة بنبرة تأكيد وهي تداعب بكفها شعر منة

الجدة : الشعر الطويل زينة البنات والعرائس مثل البنات

لاتقصى شعر عرائسك

منة تبتسم في حرج وهي تخفى وجهها من مي في صدر الجدة التي تحتضنها بحنو بالغ بينما تجذب مي وتقربها الي حضنها وتقبلها علي جبينها

خرج جمال ثانية من الداخل بإتجاه الصالة مرحبا مجددا بجدة الأولاد التي تتأمله بمحبة وود وتتلاقي أعينهم فيبتسم جمال مرحبا بها

جمال: كيف شهور ولم أراك ؟..أنا مقصر بشدة في حقك

أنا أسف

تقاطعه متفهمة وتبتسم

الجدة :أعانك الله أنا أعرف طبيعة عملك وقدر إنشغالك يابني

متبسما يرمقها بمحبة عميقة

جمال : رأيت عمي من إسبوع وسألته عنكِ للإطمأن

الجدة أخبرني

جمال :تحياتي له وسلامي

الجدة : وحشتنا ياجمال تعالي أنت ونهي والبنات نورونا الجمعة القادمة..

جمال : سأحاول

الجدة بعتاب توقعت أن توافق خاصة وأن الجمعة هي يوم أجازته وأجازة البنات من المدرسة أيضا..

نهي تأتي من الداخل وهي تنظر علي جمال بلوم مكتوم وترسم إبتسامة وتشاركهم الحديث

الجدة لنهي: هل توافقين علي قضاء يوم الجمعة معنا يانهي أنت وجمال والبنات؟
نهي بحزم أكيد

ثم تنظر لجمال بترقب تنتظر رده..

جمال يبتسم وفي هدوء معهود

وينظر لمى ومنة الرابضتان في أحضان الجدة

:ويقول وهل ستأتى يامنة معنا ؟

:فترد مي علي الفور قبل منة :نعم ولكن لن نأخذ منة معنا

ونهي والجدة تراقبان البنتين في محبة ودهشة

تقاطعها منة قائلة

أنا سأذهب مع تيتا وأتركك هنا بمفردك

فينفجروا ضاحين بينما تنهض نهي من مكانها وتتجه الي المطبخ

أما جمال والجدة ومن خلفهم البنات فيتوجهوا الي السفرة وتواصل نهي وضع الملاعق والشوك في طبق صغير وتضعهم علي جانب المائدة بجوار الطعام ويأخذ كلا مكانه ويبدأ في تناول طعام الغداء في جو أسري دافيء ..

وكعادتهما بعد تناول الغداء تلهو البنات بالألعاب بغرفتيهما بينما نهي تقف في المطبخ تفرغ الأطباق وتساعدها الأم وتتحدثان في المطبخ وبعد صمت مفاجيء تبادر نهي بتكرار جملتها ثانية وسط مراجعة الأم وإضعاف الفكرة لديها

نهي :كما أخبرتك هناك أخري

الأم:لا يوجد .. كفي عن شكك في زوجك لاتطيعى أوهامك وشكوكك

بتأثر وتلمع دمعة في عينها يهفو قلب الأم علي أثرها فتضع الأطباق جانبا

الأم : يانهي !.. جمال يحبك أنت ومعاملته لك كما هي كما قولتي لم تتغير في شيء وكما أجبتي

العلاقة الخاصة بينكم لم تتغير أو تتأثر بما يهيئه الشيطان في رأسك ناحية زوجك

لما كل هذا القلق والضيق ياأبنتى؟!

نهي: لم تتغير معاملته لي ياماما

ولكن إحساسى ..إحساسى يقول لي أنه يعرف أخرى

هذا الإحساس لا يأتى من فراغ

الأم: شكوك وأوهام وظلم للرجل

بنفاد صبر وتأثر

نهي: أنا لست غبية لاعكر صفو حياتى بيدي ياماما

وهي تستبشر خيراً وبحنو وحزم

الأم : إذن اطردى هذه الأفكار وأنتبهى لنفسك وبيتك ولاتنصتي للوساوس

نهي بإستدراك:هل أنا شاحبة؟

وبتأكيد وفي تحريض

الأم : وكوردة زابلة أوراقها مصفرة!..

تخفض نهي عينها بتأثر وتردد تجاه ما في خاطرها وذهنها

تربت الأم علي كتفها بحنو وتنظر في عينها بحزم وهى تهز رأسها بزجر وحرص

تنظر نهي فس عينس أمها بإستبشار مشوب بقلق!

بينما صوت منة ومي وهما تلهوان وجمال يمازحهما ويضحك يتناهي صداه الي سماعهما بداخل المطبخ فتلتفتا بإتجاهه

جمال يدخل من باب العيادة وعلي غير عادته يدلف الي داخل غرفة الإنتظار وينظر في وجوه الزبائن فتنادي السكرتيرة من مكانها

–أنا هنا يادكتور فيلتفت ناحيتها بحرج ثم يلتفت ثانية للمتواجدين في الغرفة ويلقى التحية

جمال: مساء الخير

أصوات بعض المتواجدين في نبرة صوت متفاوتة

مساء النور ..

وينظر للسكرتيرة التي تتأمله بفضول ودهشة فيقول لها مفتعلا حديث

–فني المعمل أتصل ؟

فتهز السكرتيرة رأسها بالنفى

–ولكنه كان هنا أمس يادكتور

–هل أخبرك أنه سيأتى هذا الإسبوع ؟

بتردد ويرد وهو يتجه الي غرفة الكشف

الدكتور: تقريبا!

تجلس السكرتيرة مكانها وتمسك بالكشف تارة وتنظر لوجوه المتواجدين تارة أخرى إستعداداً لبدء يوم جديد من العمل..

بينما وجوه الموجودين تتطّلع ناحيتها في إنتظار أن تنادى أول أسم للدخول الي الدكتور..

جمال يجلس الي مكتبه ويجذب كمامة جديدة وقبل أن يضعها علي وجهه ينظر للهاتف بحيرة وترقب ثم يضع الكمامة في إستسلام وتململ!..

طرقة خفيفة علي باب غرفة الكشف فيهب جمال واقفاً وهو يقول في نبرة صوت معتادة

جمال: تفضل

وينفتح باب غرفة الكشف ليظهر رجلا متقدم في العمر محتقن الوجه من فرط الألم فينظر له جمال مشدوهاً بتعجب ثم بتأثر ويسبقه الي غرفة الكشف ويلحق به الرجل مباشرة..

نهي تسير في صالة بيتها ذهاب وجيئة وهي تنظر في ساعة يدها تارة والي ساعة الحائط تارة أخرى وهي مترددة وقلقة ..

تقطع علي نفسها مافيه من حالة غير مريحة وتدلف الي خيال يجعلها تبتسم وتنبسط أسارير وجهها وتشرق إبتسامة علي شفتيها وتغمض عينها بأريحية وهي تتنهد وتعاود السير ثانية وثمة ما تسترجع فيتهلل وجهها وتغمض عينها ثم تدخل مباشرة الي غرفة نومها وتفتح الدولاب وتدفع بيدها الشماعات ويقع بصرها علي فستان بأوسطهم فترفعه وتدفع به الي حافة السرير وتهم بتبديل ملابسها وارتدائه وبنفس السرعة تضبط شعرها ثم تضع لمسات من الميك آب علي وجهها وتحمل شنطة يدها بعد أن تدس بداخلها ورقة بيضاء وتخرج من باب الشقة ..

أحلام تقف على أخر سلمة تؤدى الي باب عيادة جمال تتنهد بسرعة وعينها تزدحم بالخواطر ووجهها يتلألأ بالفرحة والإرتياح وتدلف الي داخل غرفة الكشف تلقي التحية ويرد بعض المتواجدين ممن انتبه لدخولها و تتجه مباشرة الي مكتب السكرتيرة وتمد يدها بالورقة التي وضعتها في حقيبتها قبيل خروجها من بيتها فتنظر السكرتيرة فيها وتدون أسم أحلام وتنظر في الورقة ثم لها قائلة

السكرتيرة :قبلك سبعة أسماء

فتؤمى أحلام في تفهم وتبحث عن مكان لتجلس فتجد كرسى فارغ بجوار سيدة كبيرة في العمر تبدو شديدة العناية بذاتها وأقرب مقارنة لعمرها الي متصابية تجلس أحلام بجوارها في هدوء

بينما السيدة المتصابية تحاول الدخول مع أحلام في حديث ليست أحلام المعنية برغبتها في الحديث ولكنها تريد أن تتحدث الي أي أحد أنها تريد أن تتحدث وكفى ! ألتفت السيدة ناحية أحلام واعتدلت لتكون في قبالتها متسألة هل الطبيب هذا ماهراً في عمله؟ فنظرت لها أحلامً بإرتباك ووجدت أمام حالة التأهب التي شرعت فيها السيدة المتصابية تنبىء بأن حديثاً طويلًا سيحدث فأرادت أن تنهيه برد مقتضب قائلة

أحلام :لا أعرف ولكن يبدو أنه بالفعل ماهراً في عمله وطبيباً حاذقاً !

فبادرت السيدة بسؤال جديد وعينها تلمع بالنباهة والذهن اليقظ بينما أود في الإنفراد بنفسي حتى يحين دورى في الدخول!..

السيدة المتصابية : منذ متي وأنت تقصدين عيادته؟
أحلام : من ثلاثة شهور تقريباً

فتأملتنى متفحصة ووقعت عينها علي فمى تحديدا

السيدة المتصابية :ولم تعاودك الام اسنانك مجددا؟!
فابتسمت وأنا احاول أن أوضح لها امراً

أحلام : ضرساً واحداً ماكان يؤلمني وقد عالجته هنا لدي الدكتور .

السيدة المتصابية :ولما جئتى اليوم إذن؟! هل فاجئك بتجدد الألم به أم بوادره في أخر؟!
بهت من سؤالها وابتلعت ريقي بعناء

أحلام :من نفس الضرس لأنى لم أنهى علاجه تماما

فتفحصتنى بدهشة لما بدت إجاباتى علي سؤالها متناقضا ورغم حرجى وتلعثمى في الرد إذ سألتني لما جئتى إذن وأنا نفسي لاأعرف لما جئت وموعدى كان الأربعاء الفائت وها نحن في سبت الإسبوع الجديد وتمنيت من داخلى أن تكون إجاباتى تدفعها للحديث مع غيرى وتوجه له أسئلتها المتدفقة!

وسادت لحظات من الصمت كانت فرصة لأسترجع حديثي الأخير في التلفون مع جمال وهو يخبرنى أن الطربوش جاهز ويؤكد علي وجوده فاخبرته أنى سوف أأتي يوم الإربعاء ترى هل انتظرنى أم إنه تصرف في مثل هذه الحالات كطبيب يخبر مريضته بثمة ما يخص عمله ؟!..لاأدرى ولكننى استشعرت !..استشعرت ماذا؟!..

تنهدت أحلام بضيق والتفت جانبا فوجدت السيدة المتصابية شاردة بوجه محتقن بالغضب والآسى ولكن فؤجت من صمتها التام أمام رغبتها العارمة في الدخول في حديث معها من دقائق مضت لم تكد تكمل التعقيب علي صمتها فإذا بها تتحدث مجدداً ولكن هذه المرة ليس بسؤال السيدة المتصابية وكأنها تحدث نفسها بأسى بينما تخص أحلام بحديثها

السيدة المتصابية : لم يقضى علي أسنانى ويدوام علي تجدد الألم كالفكر الثقيل والهم المتجدد مخاوفى المستمرة من الوحدة استهدفت أسنانى !

فالتفت ناحيتها بترقب وإهتمام بدا كلامهاعميق وأنها ما تتحدث ثرثرة ولكن رغبة في البوح والإستئناس لمست رغبتها في الحديث معى أو مع غيرى فبادرت أنا تلك المرة وسألتها

أحلام :وماعلاقة الوحدة بآلام الأسنان ولما تخافى منها؟

السيدة المتصابية

أنا بالفعل وحيدة ولكنى أكذب علي نفسى وأدفعها عني متخيلة أنها غير موجودة

هي تشاركنى أنفاسى ومسكنى وسريرى وأكواب الشاى وفناجين القهوة

وملابسى أيضا!

تأملتها بدهشة أخفيتها بإبتسامة لامعني لها ! ولم أجد ما أقول لا أدرى لما مستنى كلماتها تلك ولكنني توقفت عن الأسئلة ولم أطرح جديد فعادت الي الصمت فوجدت أنه من الأنسب أن أتحدث معها ولو فعلت مثلها ولاحقتها بالأسئلة المهم ألا أدفعها الي الصمت الذي تتهرب هي منه

أحلام : هل تعملين؟

فابتسمت السيدة إبتسامة عريضة وتهلل وجهها وردت قائلة بنبرة صوت عذبة ودافئة

إنه حقا الحديث عما نحب يؤثر في نبرات صوتنا ويحولها الي أنغام جميلة!

السيدة المتصابية : مدرسة تربية فنية في مدرسة ثانوية للبنات

كانت أروع مراحل حياتى وأبهى لحظاتها وأنا أتوجه صباح كل يوم الي المدرسة وأنا أجلب معى من البيت أنشطة قمت بعملها في بيتى بنفسى لأريها لطالباتى اللاتى كن يتعجبن كثيراً ويعجبن بكل لوحاتى وقطعى الفنية التي أبتكرها

ذات مرة صنعت سمكة ملونة يصل طولها متر!

ابتسمت لها وأنا أبدى إعجابى وتقديرى لما ترويه

فاشرقت إبتسامة مضيئة علي وجهها استشعرت أن تلك العيون لفتاة في الثامنة عشرة فقط لما انعكست فيهما من حيوية وبهجة ولما تمدد بصوتها من دفء ومرح ودلال وهي تخبرنى عن

أعمالها الفنية وعملها والأنشطة التي قامت بها ما أروع الحديث عن الذكريات السعيدة التي تجدد فينا معاني التفاؤل والفرح وتمنحنا السرور

استطردت السيدة

احدى طالباتى وعدد منهن علي سبيل المجاملة أخبرونى أنهن يودون لو يصبحن مدرسات ليعلمن الطلبة الرسم وصنع المشغولات والتحف الفنية اليدوية

تنهدت ولمعت عيونها بالزهو والفخر

وقالت في ثقة

لم تكن مجاملة ! فقد تخرجت اثنتان منهن وأصبحن بالفعل مدرسات تربية فنية ولا أدرى عن الباقية ماذا أصبحن أنا بالطبع لا أتمنى أن تكون أيا منهن إلا ما تحب هي ولايسعدنى بالتأكيد أن تكون مثلي لمجرد إعجابها فقط بي

وانتظرت تعقيبي علي كلامها الأخير فأؤمت موافقة لما تقول أنها تسرد جانب من حكايتى ولاتدرى فابتسمت في تشجيع وتأكيد لما قالت وتقول..

داخلتها حالة من النشوة لمجرد أنها تفتح حديثاً تسترد فيه لحظات سعادة لأيام مضت كيف نوجد هذا الشخص خارج مجال الصدفة

ذلك الشخص الذى يدفعنا لإسترداد لحظات بهجة لمواقف وأيام ولت بلارجعة لننعم بها معتقة في أذهاننا نقتات منها في أيام خالية من مسبباتها في حينها

قبل وصولي لسن المعاش لم تكن أسناني تؤلمنى قط ولاتسألينى يا..؟-

ماأسمك لقد فاتني على غير قصد أن اسألك عنه معذرة!

ابتسمت متفهمة وبكل ود أخبرتها أحلام عن أسمها وقامت هي بدورها بتعريف نفسها

السيدة المتصابية

..وأنا أسمى فوزية..مس فوزية

فاؤمت أحلام مرحبة بها تبدو إبتهاجها بمعرفتها وكانت السيدة في حالة أفضل مما بدت عليه بأول الحديث ظنت أحلام أنها اكتفت بالحديث الخاطف عن حياتها ولكن يبدو أن في جعبة مسز فوزية الكثير لتتحدث عنه ولكنى خشيت أن يتجاوزنى دورى في الدخول فالتفت من حولى فوجدت نصف عدد الموجودين قد انصرفوا فتنهدت بإرتياح إذ لم أجد نفسي والسيدة بمفردنا أو أن دورى قد فاتنى و دورها أيضا! وخلت العيادة إلا منا كما لمحت السكرتيرة تتحدث الي مساعدة الدكتور أمام باب العيادة من الخارج وهي تناولها بعض الأغراض التي دخلت بها السكرتيرة ووضعتها في جانب ثم عادت لتجلس في مكانها مجددا لاحظت السيدة جولتى التفقدية في أرجاء العيادة وهي تبتسم بود فابتسمت لها بتشجيع عسى أنها تريد أن تواصل حديثها وبدورها لم تفوت الفرصة فسألتني ماذا تعملين؟

أحلام :مترجمة بالمركز الثقافى الفرنسى وصحفية

تهلل وجه السيدة وقالت صائحة بإبتهاج

مسز فوزية : والله !..جميل جدا

فابتسمت أحلام في ود

–انك تطالعين الروايات الأجنبية التي تقومين بترجمتها بالتأكيد مما يجعلك تمرحين في خيال خصب وأجواء متجددة من البهجة والمتعة

أحلام : كيف عرفتى؟!

قالتها بتأكيد لكل ما قالت ووصفت

فضحكا معا في نفس اللحظة وربتت بعفوية علي يدها وهى تضحك من قلبها

مسز فوزية : تشرفت بمعرفتك

أحلام : وأنا والله يامسز فوزية

وهي تاركة يدها تحت كف السيدة قبل أن ترفعها في هدوء

من المدهش والرائع كما قولتى أن يعمل الشخص ما يحب

فاؤمئت برأسها موافقة وشرعت تواصل حديثها

مسز فوزية : ألام الأسنان ليس لها أى علاقة بعمر وسن معاش أو التقدم في العمر أنما أنا من قمت بهذا الربط لفرط حساسيتى من مكوثى بمفردى في بيتى بعد زواج إبنتى ثم لحق بها أخوها وبقيت وحدى بلا أحد حتى سلوتى الوحيدة بعدهما قد غادرتنى ببلوغي سن المعاش وعدم الذهاب الي المدرسة ولقاء زملائى والطلبات..

أضعفت الوحدة مناعتي وتأكلت أسنانى مثلي تمام

ولكننى أقاوم كما ترين أفرض لون شعرى لا أتركه علي لونه الذى أكسبتها اياه سنوات العمرولا أقتنع بإتجاه تتخذه أخريات بإرتداء ملابس بألوان تناسب العمر لاأقتنع بهذا قول ولا أعمل به أنا

أحب الألوان الزاهية من صغرى كما تريدن بلوزة برتقالية مثل ثمرة ناضجة من البرتقال وجيب خضراء داكنة مثل الفرع وكأني ارتديت البرتقال بقشرها وهي علي الشجرة فابتسمت لوصفها كما ضحكت هي من قلبها مجدداً وقطع لحظتنا الجميلة صوت السكرتيرة التي نادت قائلة

السكرتيرة : مدام فوزية محجوب؟

فنهضت من جانبى مسز فوزية وهي تغمرنى بنظرات الود والمحبة ولأول مرة أود لو لم يقترب دورى وألا تتوقف عن الحديث ويحين موعد دخولها للكشف

ربتت مسز فوزية علي يدى بإمتنان

مسز فوزية :سعدت بمعرفتك.. أستاذة أحلام

تحركت أحلام في مكانها وهي تربت هي الأخرى علي يد فوزية وتتأملها بود

أحلام : وأنا سررت جدا بمعرفتك مسز فوزية ..

تحمل فرحة علي وجهها وتمضى متجة ناحية غرفة الكشف بينما أحلام تنظر عليها في محبة الي أن دخلت فتغمض عينها ويداخلها شعور تمنت لو طال الحديث مع مسز فوزية مدرسة التربية الفنية..

تتنهد أحلام وهي تحاول وصف ذلك الحديث وهي تسترجع منه ثمة ما أدهشها وأعجبها تتسع حدقة عينها وهي تتوقف أمام بعض عبارات قالتها مسز فوزية وعينها تفيض دهشة وتساؤل

فتزيح الخواطر المزدجمة وترجئها لما بعد كما يروق لها وترى أنه من الأنسب الآن أن تتأهب للدخول علي جمال فتبتسم بفرح وهي تتنهد بإرتياح ولهفة وتتجنب ضبط هندامها تحرجا من السكرتيرة ورجلان يجلسان بجوارها في الإنتظار وتحاول أن تستجمع نفسها وترسم تعبيرات ثابتة

علي وجهها ولكن تنطلق منها ابتسامة مشرقة تضىء وجهها وتهم برفع مجلة من أمام علي الترابيزة الصغيرة وتفتحها علي منتصفها وتنظر فيها لاتقرأ ولاتقصد هي لم تنوى تصفحها ولكنها تكفي فيها إبتسامات تهل علي محيها لسبب تراقبه عيونها المليئة باللهفة وتعجل الدخول وأرجائه في آن واحد تقطع عليها حيرتها السكرتيرة وهي تنادي

السكرتيرة : مدام أحلام ضياء الدين؟

وقفت مكانى وأنا أبتلع ريقى ثم ملت ناحيتها وأخذت منها الروشتة واتجهت لغرفة الكشف طرقت الباب ودخلت

رأيت جمال جالسا مكانه والكمامة علي وجهه تهلل وجهه ما أن رأنى وهب واقفاً ثم تظاهر بأنه يرفع شيئا من علي حافة المكتب أمامه بعيدعن متناوله

أحلام تقف مكانها تتأمله بلهفة وإرتباك وترتعش شفتيها لاتتمالك نفسها يتوقف جمال عما يقوم به ويتقدم خطوات بإتجاه أحلام التي تقول

–مساء الخير يادكتور

–مساء النور يامدام أحلام

اتفضلى حضرتك..

أحلام تتهرب بعينها وتطئطئ رأسها وتدخل ثم تتوقف ولاتجد ما تقول بينما جمال خلفها ينظر عليها وهو ثابتا في مكانه لايجد هو الأخر مايقول نبضات قلبه في تسارع وعينه تفيض لهفة وفرح يقشعر جبهته في إنتشاء وهو يرمقها بنظرات متفصحة علي إستحياء شعرها المرسل

وقوامها النابض بالشباب والحيوية تلتفت أحلام فتتلاقى أعينهم فيرتبك لما تحمله عينه من معاني فيستجمع نفسه ولكنها تذهل مما تعكسه عينه فتبتسم وبنبرة هادئة

لم أتمكن من المجيء يوم الأربعاء كما قلت لك في التلفون –

بتفهم ويهز رأسه بترقب وهو ينظر في عينها بإعجاب مبتسما ويحاول الهروب من النظر فيهما فيلتفت ناحية الأرفف المتراصة فوق بعضها تحوى أداواته ويحدث جلبة بفتح درج وإغلاقه ثانية لفتح آخر بينما أحلام في ذهول وإرتباك وتقترب من الجهاز وتستقر عليه ويلتفت جمال فجأة فيجدها قد انتقلت الي الجهاز فيرخى الكمامة علي أنفه وفمه و يتقرب منها وفي يده الطربوش تتحاشى أحلام النظر في عينه فتنظر أمامها

جمال وهو يقرب الطربوش ليكون واضح أمامها

–الطربوش أهو يامدام أحلام

فتؤمى برأسها دون النظر في عينه وتفتح فمها

يقترب جمال ويضع الطربوش فوق ضرسها المحشو ويقوم بتثبيته بالمادة اللاصقة المخصصة لتمكين الطربوش فوق الضروس ترفع منديل وتمسح فمها وتبادر بإستفسار

–هل يمكننى الأكل وتناول مشروب اليوم عليه ؟

– آه طبعا

ولكن يفضل بعد مرور ساعتين فقط من الآن

–شكرا يادكتور

-ألف سلامة !..

تبتسم أحلام وتنهض من جلستها وتلحق بجمال الذي ترجل خارجا الي مكتبه من غرفة الكشف..

جمال يجلس خلف مكتبه وقد رفع الكمامة من طرف واحد ويترقب ظهور أحلام خارجة من الغرفة يتهلل وجهه مجددا ويود لو تبقى وتشرع في طرح أسئلة ولكنها تنظر في عينه في حيرة وترقب ثم تستأذن

جمال كما لو يوقفها ويمنعها من الذهاب

-مدام أحلام؟

تلتفت أحلام بهدوء وتأثر ربما لأنها ستمضى في كلتا الحالتين وتغادره!

- نعم؟ يادكتور؟.
- -انتبهى جيدا!
- فتنظر له أحلام مشدومة متعجبة فيرتبك وهو يهيم في عينها بلا توقف وبكل ثبات
- -أقصد لو شعرتى أن الطربوش يسبب لك أي ضيق يمكننك المجىء فورا وسأقوم
- بتغيره!

وتطيل النظر في عينه رغم إرتباكها البادي عليها

لن يضايقنى –

-أقول لو حدث

وهل لا أجئ الي هنا إلا اذا ضايقنى طربوش الضرس

يمكن ضرس غيره يؤلمنى

مقاطعا ويبادرها علي الفور

سلامتك!..لالا ..انتبهى لأسنانك

ومردفا

–لاأقصد..أخبرتك فقط..

تبتسم أحلام بعذوبة وتقولها مباشرة بلامقدمات..

–دكتور جمال؟

على الفور

–نعم..يامدام أحلام

فيبتسما معا

–اذا دعوتك لحضور حفل قريب يخص جهة عملى هل ستوافق؟

يتهلل وجهه ويسألها بفضول

–فيما تعملين؟

–إحتفالية سنوية للإحتفال بتأسيس المركز الثقافي الفرنسي في مصر

يسمعها بإهتمام وترقب ..

أحلام مردفة

أنا أعمل هناك ..مترجمة ومراسلة وصحفية

مندهشا ويبتسم بود

بكل سرور ياأستاذة أحلام–

–مدام أحلام ..أنا أم للشاب الذى جاء معى أول مرة وأرملة من ثمانى سنوات

ينصت لها عن كثب ويبتلع ريقه بفضول ويرتبك كما عرف ما كان يود السؤال عنه تنظر أحلام في عينه كمن يلوم نفسه التطرق للحديث في تلك الزواية من حياتها ولكن تنهدت الصعداء بعدما أخبرته يرتبك جمال علي أثر ما سمع رغم ظهور نشوة انتصار وإطمئنان في عينيه

تستأذن أحلام وتخرج بينما جمال يقف مكانه مشدوها يغرق في خاطر يستولي علي نفسه ويتملك منه يبتسم في طمأنينة وإرتياح وهو مازال ينظر الي حيث خرجت أحلام .

لاتصدق أحلام أنها قد وصلت الي بيتها ليتسنى لها إسترجاع ما حدث في فضاء نفسها بعيدا عن صخب الخارج تتوقف لدي الباب وهي تنظر أمامها وتدخل في حالة من النشوة والإرتباك معا وتتجه الي غرفتها وهي تغالب فرحتها بينما عينها تمتلاء بالحيرة والقلق

تتوقف في منتصف غرفتها تراجع نفسها في فيما قالت ترى أنه عليها ألا تذهب الي هناك ثانية وتراجع نفسها متسائلة لما أخبرته أنى بلازوج وأنى من ثمانى سنوات وأنا أرملة ؟ لما أخبرته بذلك ! ماذا سيقول على الآن؟ لم يكن من الصواب أن أتطرق في الحديث معه الي الحالة الإجتماعية

هل تودينه زوجا لك ياأحلام؟ كيف هذا وأنا لاأعرفه كما أننى لاأفكر في الزواج ولاالحب

يستوقفها قولها ولاالحب! .. ولما لا هل الحب جريمة؟

وهل هو يحبك؟ أم أنت من تحبينه ؟..هل أنت تحبين هذا الرجل؟ جمال رجل مهذب وناجح ولطيف ولكننى لم افكر فيه مطلقا فهو متزوج هو يضع دبلة من الفضة في يده اليسرى مؤكد أنه متزوج هل يظل شخصا في مثل عمره بلازواج! وإن كان ما شأنى أنا به هو رجل متزوج وإن لم يكن أنا لاأحبه هو مجرد طبيب الأسنان الذى قصدت عيادته عندما ألمنى ضرسى! ولما تفكرين فيه بإستمرار إذن؟! قد أكون معجبة به فقط أم أنه .. ماذا؟! أنا مرتبكة حقا .. وعلى كل لن أذهب الي هناك مرة أخرى حتى لو ألمتنى أيا من ضروسى وأسنانى مجددا وفي أى وقت.. ولكنك ووجهتى له الدعوة لحضور ذكرى تأسيس المركز ولما قولتى لها انك تعملين مترجمة وصحفية؟!.. حتى لايظن أنى ربة بيت . أنا لم أتعمد اخباره بأياً مماقلت ولكنني استرحت بعدما أخبرته وهو أيضا ..هو ماذا استشعر منه إعجابا كبيرا بى وقد رحب أيضا بقبول دعوتى له ! وهل يعنى كل هذا إنه يحبك الحب أمر مختلف ..في ماذا يختلف

في أن امرأة بعمرى لازوج لها ولديها بن وهو معجبا بى ! ثم ماذا تقصدين أن يتقدم لطلبك للزواج؟!

تمسك أحلام رأسها براحتى يدها تضمها بحنو وكأنها تخشى انشطارها من كثرة الأسئلة

أنا لاأحب أن أكون في مثل تلك الحالة أنا لاأبحث عن زوج ولاأريد أن أتزوج وتهم بخلع ملابسها في عصبية وتلقى بملابسها علي حافة سريرها وتخرج الي الصالة تجد كريم يدخل ويغلق الباب خلفه وينظر صوبها معتذرا

كريم :أنا أسف ياماما في كل مرة أتخلف عن الذهاب معك الي عيادة الأسنان ولكن رغما عني

تتنهد أحلام علي خلفية ما بها وترسم إبتسامة قائلة

-لاعليك ياكريم ,, هل أجهز لك العشاء؟

كريم :أكلتى؟

أحلام : أخبرنى الطبيب بألا أتناول شيئا قبل مرور ساعتين

كريم : وكم بقى علي مرور الساعتين ؟

أحلام :ساعة واحدة فقط

كريم :سأتنظرك لنتعشى معا

ولكن ..هل عادوك آلام أسنانك؟

أحلام :أبدا ولكن ذهبت اليوم لتركيب الطربوش كأخر خطوة متعلقة بالضرس اللعين

يبتسم كريم لوصف أحلام ويمضى متجها الي غرفته

بينما أحلام تفتح التلفزيون وتجلس قبالته تتدافع الخواطر الي نفسها مجددا فتهب واقفة كمن يفلت من عدو وتتجه مسرعة الي المطبخ

تعبث في الأوانى وتعيد ترتيب الأكواب في أماكنها ثم تنحني وتفتح الفرن ثم تغلقه ثانية وتتوقف مكانها وتتنهد بضيق

6

نهي تتأمل ظهر جمال العارى أمامها وهو يبادر بوضع جاكيت البجامة عليه عن أن يبقى بلا ملابس حتى الصباح ويجذب الغطاء فوقه ويستسلم لغفوة قبيل الإستغراق في نوم متمدداً في مكانه بجوارها

بينما هي تلف صدرها بطرف الغطاء وهي تتأمله بترقب وريبة تحاول طرد هاجسا يحاصر خاطرها ويلح علي ذهنها فتنظر لجسدها تستحضر ما كان قبل لحظات بينها وبين زوجها وتضعه أمام الهاجس الذي يطاردها بشأن وجود أخرى في حياته متسائلة

–هناك امرأة في حياته !..ولكنه

كما هو!.. إنه معى كما كان ! كما هو منذ تزوجنا !

في الصباح عادت نهى بعدما أوصلت بنتيها الي مدرستهما تحمل بعض إحتياجات البيت تدخل مباشرة الي المطبخ تضعهم هناك وتعود

تدخل الي غرفتها تتحاشى فتح النور وتقف مكانها تنظر علي جمال المستغرق في نومه في ا

أجواء شاعرية دافئة تلف جو الغرفة في حالة من السكون والطمانينة

نهي تتملكها رغبة في تكذيب من تحس به وتحاول مقاومة وطرد ما يدور في خاطرها تبدل ملابسها في ضلمة الغرفة وتصعد السرير وترتمى في أحضان جمال كمن يريد أن يتحقق من شيىء من وجوده من كونه معها ولها في فراشهما تحتضنه من ظهره وتلتصق به وتغمض عينها بإرتياح هنا يفتح جمال عينه ويستشعر أحتضان نهى له وإلتصاقها به فينظر بعين ناعسة لم يفيق بعد ولكن يظل ساكنا مكانه لايبدو أي رد فعل ويحاول معادوة النوم

أحلام تسير مع ليليان في إحدى ردهات المركز تتحدثان في ود وإنسجام علي عكس ما كانت علاقتهما معا وكلماتهن المقتضبة

تتوقف ليليان عن السير وهي ترمق أحلام بإمتنان قائلة

لما لاتفكرين في السفر الي فرنسا في نزهة ياأحلام؟–

أشك انك لم تتمنيها..

فرنسا !.. وهل من أحد لا يود زيارتها!-

أحلام ترتاب في حديث ليليان الودى المفاجىء الي هذا الحد أن تلوح لها بالسفر الي فرنسا فتجد أنه من الحكمة أن تنصت للنهاية لتعرف وبتريث وتخفى فرحتها وتأكيد لما تقول ليليان فالكل يعلم عن تلك الآمنية ولكن من أين علمت ليليان تحديدا وهي التى تحرص علي أن تكون بعيدة عن كل العاملين في المركز بإستثناء عزيز أبو الفتوح؟!..

-أنت عائدة من هناك للمرة ال..؟

تقاطعها ليليان ضاحكة بغبطة

-هذا من صميم عملى أنا اسافر للتنسيق بين مراكز الثقافة وترتيب أعمال البعثات والإشراف علي توفر الشروط المطلوبة في الأماكن التي سيقصدها المبتعثين والزوار التابعين للمركز وأصحاب العضويات

وهذا يختلف عما إن كنت أسافر عن رغبة مني وحرص

تنصت اليها أحلام وهي تخفى تسائلاً ملحاً ودهشة من ليليان التي تستشعر ذلك فتصمت لبرهة وكأنها ترى أن كل تلك المقدمة تزيد من دهشة أحلام فتبادر مستشعرة ثقل ما ستقول علي نفسها لما تجده مساسا بها كامرأة وفي مثل مركزها الرفيع فتبتلع ريقها و تنظر في عينى أحلام وتقول مباشرة

-هل أنتِ امرأة شرقية ؟

تتعجب أحلام متفاجئة من سؤال ليليان وتزداد الحيرة في عينها والدهشة وقبل أن ترد وإن لم تجد بالفعل أحلام رداً جاهزاً في اللحظة فتتولى ليليان الإجابة علي سؤلها بنفسها قائلة:

– رغم إنى سافرت كثيرا ومكثت فترات متقطعة هناك وتعلمت هنا وهناك في مدارس فرنسية وعملت في مركز تابع للثقافة الفرنسية وتوليت فيه منصبى هذا

إلا إنني أعد نفسي امرأة شرقية!..أنا امرأة شرقية

تبتلع ريقها بصعوبة وتقول علي مضض

–وددت لو أتغيّر ولكنني بقيت شرقية في قرارة نفسي

رغم رغبتى في قطع صلتى بالثقافة الشرقية الخاصة بالنظرة للمرأة والتي فرضت فكرا وسلوكا علي المرأة

يؤسفنى أنى امرأة شرقية رغم كفاحى ضد هذا مرارا

لو أكن امرأة شرقية لما تقبلت خيانة زوجى

أحلام تتدخل في إستنفار وتثور وتقول مستنكرة

–أستاذة ليليان! لم تكن لي علاقة بمسيو عزيز

أنتِ من فسرتى ..إعجابه بي وتعامله معي بلطف علي أن ثمة علاقة فيما بيننا

تشير بالنفى بيد مثقلة وعين تمتلاء بالآسى والوهن

–قلت أننى امرأة شرقية ولم أقل أني بعد غبية لأقف مع امرأة خاننى زوجى معها أتحدثهامعها هكذا!

أنتِ زميلة في العمل فقط ياأحلام وإنسانة أعتز بمعرفتها وإن كانت علاقتنا فترت لفترة طويلة بسبب تفسير خاطىء مني لتودد زوجى المعتاد من كل

وهي تبتلع ريقها بغصة

– امرأة جميلة!..

تخفض أحلام عينها علي استحياء لما تحمله نبرات صوت ليليان من وهن وإنكسار

–تقبلت خيانته وتجاوزت عنها مرة ومرات لا مثل الباقيات مثلي من النساء الشرقيات!

ولكن لأنني أريده هو دون غيره !

تدور عينى أحلام ويستوقف ما قالت ليليان فتغمض عينها محتفظة بكامل صمتها والإنصات الي ليليان وعينها تتقلب فيها الخواطر

ليليان مستطردة

–لم تنهى خياناته لي علي الحب له من قلبي أو ربما لم أقوى على بدء علاقة جديدة مع رجل آخر !

أنا غير منجبة كما تعلمين وهو لايحب الأطفال وأكتفى بإبنه من زيجته السابقة

–لو لم أكن شرقية لانهيت تلك العلاقة وذهبت لاتعافى ومن ثمة ابدأ في أخرى قد تكون الأنجح والأروع ولكنني شرقية أخاف ولاأأمن لمراحل التغير..

فأدفن رأسى كالنعامة خشية تبعات خطوة جديدة مجهولة حفظت بها علي نفسي وكيانى وكرامتى إتقاءاً لما لا أعرفه أو أتوقعه وهل الحياة ألا سلسلة من الأحداث الغير متوقعة ولكنى جبنت أمام وضع حد لإهانته لمشاعرى واعتبارى وشراكتنا في حياة واحدة يقحم فيها عليّ امرأة بعد أخرى!

كل امرأة شرقية تفضّل البقاء مع رجلها في أسوء الظروف والأحوال علي أن تعلنها أنا قادرة علي صنع حياة جديدة مهما كلفنى ! لانريد أن نتكلف ولا نحمل مسؤلية أنفسنا أمام أنفسنا نفضل أن نلقى بها علي أب أو زوج هكذا تربيّنا ولكن إن كان هذا دور التربية والتنشئة مافائدة ما أُتيح لنا من فرص للحصول علي وعي متنوع وعلم ومعرفة تملاء الفضاء فوق رووسنا لا قيمة لها ما لم ننتهزها فرصة لنغير أي واقع لايقدم لنا ما نريد

أحلام تنصت لليليان وتتأملها كمن يرأها لأول مرة بينما ليليان لاتهتم لنظرات أحلام وتستمر في حديثها ..

–نفتخر بما حصلنا عليه من شهادات ومراكز ولكتنا من الداخل نظل أسيرات ثقافتنا

لو لم أكن شرقية لصفعته علي وجهه مع أول إهانة وجهها الي قلبى وأنوثتى عندما علمت أنه عاشر امرأة غيرى تكبرنى في العمر وقتها ثم ثانية في أقل من نصف عمره وأخرى

ربما لو صفعته وأوقفت ودافعت عن نفسي لتوقف عن خيانتى أو طلقنى ليسترد كبريائه ويكذبنى إن أصريت علي وصمه بالخائن الذي لايرقى ليستمر زوجا لسيدة تحافظ علي كرامتها وترفض رجلاً خائناً في حياتنا

ولأن الطلاق قد يقع لاي سبب كان أجدى أن يحل بعد انكشاف أمر الخيانة

ولكنى لم أقوى ولم أفكر يوما في طلب الطلاق لأي سبب ربما في أوقات الغضب الشديد فقط عندما يفيض بي بسبب تصرفاته وأن أطاعنى وقتها لوقع !.. ألم اقل لكِ أن الطلاق يمكن أن يقع لأي سبب فإن حدث فكان أولى بعد تأكدى من خيانته لي في المرة الأولى أو العاشرة !

بقيت معه أتجرع مرارة خياناته لي كقدر وكنت أتحايل علي نفسي وأقول كما يتردد في مثل تلك الأحوال ولاأريد أن أعيد جلد ذاتى بإعادة سردها الأن

وفي محاولة من أحلام لوقف نزيف الذكريات والإعترافات من قبل ليليان امسكت بيدها قائلة

–هم من يجعلوننا شرقيات

لاتريد كل امرأة أن تكتوى بثقافة الشرق المصوبة الي صدور وقلوب النساء

لست وحدك من عانيت من تلك الثقافة فكلنا نعاني بنسب وبقدر ما تخضع كلا منا وإلا لما كنت أنا أجدد عهدى مع الترمل للعام الثامن !

هنا استشعرت ليليان أن غالبية النساء تعانى مثلها مما خفف ما قالته أحلام من حزنها وتأثرها البالغ

مردفة

–ووددت أن اعتذر لك بطريقتى عما بدر من زوجى في حقك وما الحقته بسوء تفسيرى

ففترت علاقتي بإنسانة نبيلة مثلك

مقاطعة

–لاتتذكرى وتذكرينى بما كان !

بإستدراك وتبتلع عينها دمعة راكدة فيهما ويتهلل وجهها

وتقول كمن يلتمس الموافقة بلا تردد

–فرنسا بكل ضواحيها ومدنها العريقة ستنال إعجابها وتخطف قلبك وعقلك

عليك بزيارتها في أقرب وقت

وتربت ليليان علي يد أحلام بجدية وود والعيون تتلاقى وتتعانق فتبتسم أحلام وتؤمى برأسها فتربت على يدها ليليان ويتوجها معا للخروج من القاعة الكبيرة..

8

نهي تبكى بحرقة علي صدر أمها التي تربت علي ظهرها بحنو وتردد

الأم :لاتظلمى زوجك يانهي

جمال رجل محترم ويخاف علي بيته لاتظلميه يانهي

لم يبدر منه ما يخجل أو يشين منذ أن اخذك من هذا البيت

نهي بيقين وفي آسى

–ولكنه يعرف امرأة أخرى علي ياأمي

وترد الأم كمن يشكك ويعرقل عن اقتناع :هل تأكدت؟.. أم هى شكوك وإتهامات ؟

بحزم

نهى :من فترة كبيرة ولديا الإحساس هو لم يتغير معي ولكنى مع الوقت بت متأكدة بما أحس به

الأم بنبرة جادة

_لديكما بنتين يانهي وعشرة تمتد لأكثرمن عشر سنوات

نهي: وهل قلت أنى أريد الطلاق؟!

الأم : لم أقل أنكِ ستطلبين الطلاق

-اذكرك فقط إن بينكم عشرة ليست بالهينة

بغصة

-لم أنسى!

-لم تتبدل معاملته لك ويعاملك معاملة طيبة ويهتم بك ويحبك

وهنا تصيح نهي بحزن وغضب من بين دموعها قائلة وهي تشير بإصبعها في وجه أمها

-لايحبنى

تتأملها أمها بشفقة وإستنكار

نهي :لاتقولى أنه يحبنى..هو لا يحبنى ولم يحبنى في يوم

تزوجنا وانجبنا وعشنا معنا هو لم يجبنى ياماما لم يحبنى

تنصت لها الأم بآسى وتحاول أن تظهر تأثرها العميق لما تشعر به ابنتها فتظل تشكك في احساسها وتخفف من ثورتها وحدة انفعالها ماتجاه تعهدت نفسها المضى فيه!..

-لا يحبنى أنا

هو يحب الأخرى..يحب غيرى

تقاطعها الأم بحزم مشبوبة بالشفقة

لاتقولي هذا يانهي

لو لم يكن يحبك ماكان يعاملك بتلك المعاملة ولااهتم بك

يعود الي بيته متعبا من عمله لم يثور عليك يوما أو يتطاول في نقاش أو في لحظات الغضب

هل أتيتى الي هنا وتركت بيتك على لأي خلاف بينكم يوماً؟!

هو يعشق بيته ويحب أولاده وزوجته

–أرجوك ياماما ! كفاية ! أنا لست طفلة لو كان يحبنى لعرفت وشعرت بهذا

يحافظ علي بيته نعم وأولاده ولكنه لايحبنى

الأم :وهل يكرهك يانهي؟

–لايحبنى ولايكرهنى ..نحن زوجين فقط

الأم :وما الفرق؟!

–كبير..الفرق كبير ياماما كبير جدا! .. كنت أتجاهل الفرق

هذا في كل أيام وسنوات زواجنا

لم أكن لاتوقف لأعرف الفرق فحياتنا معا مستقرة وبلا توترات أو مشاكل كبير

وفضلت أن أحيا معه في انسجام وهدوء علي أن اسأل لما الملل سريع الي حياتنا

لما يتضاعف البرد في علاقتنا بعد أبسط خلاف وتسير الحياة علي وتيرة واحدة أن تعاتبنا أو لم نتعاتب لانقترب ولانبتعد كل منا يعرف ما هو مطلوب منه كل يقوم بما هو مطالب به تجاه الأخر

بعد كل خلاف منه أو منى يقوم كل منا بتصحيحه بألا يفعل سببه مجددا وفي صمت

هل هذا سيىء ؟!

أم الحياة الساخنة التي تتأرجح كل يوم علي جديد من هبات العواطف الدافئة

أنا أريد الإستقرار وحياتنا مستقرة لما زهد هذا واشتاق لهبات العواطف والمشاعر

لما هجر البرد القائم وأراد العواصف

لو كان الحب مهما بالنسبة له في تأسيس وعمل أسرة وزواج لما لم يتزوج من أخرى يحبها كأولوية ليرتبط بها لما تزوجنى أنا؟!..

هو لم يحبنى لماذا؟ هل لأنه لم يكن يعرفنى قبل الزواج أو نكن نحب بعضنا البعض؟!
أنا أيضا لم أعرفه وتزوجنا ولكنني أحببته بعد الزواج

لماذا لم يحبنى هو أيضا؟!
أنا احببته هو لما لم يحبنى هو الأخر ؟!

الحب ليس معادلة احبنى فأحبك ولكننى طمعت أن يحبنى أو هكذا كنت أقنع ذاتى أننى مادمت أحبه فهو أيضا يحبنى

لم يقولها لي ولكني رأيتها في أفعاله

تقاطعها الأم مستبشرة بحكم متزن من ابنتها في إتجاه حياتها مع زوجها

الأم : وهذا أهم..كيف يعاملك ..

هل تظنين إن كل من تزوج بمن يحبها يعاملها معاملة طيبة

الحب لوعة وعذاب وكل يوم في حال

كل ساعة ! يانهي

حياتهم تخلو من الإستقرار كثيرة العواصف كما قولتي ياحبيبتى

فهل كان يناسبك أنت حياة غير مستقرة ما تصبحين عليه تمسين علي نقيضه

هجر وعتاب ولوعة وشوق وجروح ودموع

_لا ياأمي

ولكن يحز في قلبي أنى أحببته من كل قلبى وهو لم يبادلنى الحب بحب

ولم يحبنى!

الأم تقاطعها عاتبة في إستنكار

-لا تقولين ذلك

-لما ؟! ..هذه هي الحقيقة

إن لم يأتى الحب في البداية فلن يأتى أبدا

الأم بإستدراك

-ألم تقولى إنك تفضلين حياة الإستقرار وأن حياة العواصف لاتناسبك؟

وهاأنتِ تعشين الحياة التي تريدينها وتناسبك

-وحبه لأخرى ياأمي؟!

سيخمد وينتهى -

الحب عمره قصير في أغلب الأحيان

نهي وقد أستعادت بعض هدوئها

–وإن لم يقصر عمره ؟!

–سيخمد وينتهى صدقينى جمال لايهتم كثيرا لحال قلبه فهمه الأول هو عمله وكيف ينمى العمل وحال العيادة أو ينتقل لأخرى في مكان أفضل ويجدد موديل سيارته ..

أمر الحب لايهمك

اعتبريه فورة عواطف وستهدأ للأبد

نهى :وإن لم تهدأ ؟

الأم : ستهدأ وللابد ولن تتكرر اعتبريها غلطة وسقطة له في مشوار حياتك

نهي : ولكن ياماما ..نار مشتعلة في قلبى

الأم :اطفئيها يانهي

ترمق أمها بعيون دامعة وعتاب ..

نهي :ياماما؟!..

الأم وترد بحزم وتأكيد

–اطفئيها بالحكمة ..هل ترغبين فى تركه وطلب الطلاق؟!

لاترد نهي وتخفض عينها في إرتباك وحزن فتنوب الأم عنها بالإجابة

كمن يتحدث الي نفسه

الأم : بيتى في أمان وأولادى في حضنى وزوجى لايبرح بيتى لما أفكر أو أشغل فكرى

لن أذبل بالفكر والحزن والخوف ..أنا علي أرض صلبة ..ولن أهدم بيتى لافسح المجال لأخرى تحل محلى في حياته ..هو زوجى ولى وعشرة عمرى وأنا أريده ..إن كانت هي في قلبه فأنا في بيته ولن اغادره أبدا

وتحتضن الأم ابنتها وهي تمسح دموعها

تستسلم نهي في أحضان أمها وهي تتنهد بإرتياح وترقب..

وتمسح الأم بيدها علي شعر ابنتها وعينها تفيض شفقة وقلق

9

جمال يداعب مي ومنة في غرفتيهما بينما تطل نهي من جانب في الشقة وعينها مليئة بالآسى واللوم

منة :بابا ارسم لي حصان أبيض

جمال بمرح مستغربا

-حصان وأبيض؟!

تؤمى برأسها مؤكدة

منة: آه يابابا.ز

طلبت ألمس منا رسمه الحصان وتلوينه باللون الأبيض

جمال ينادى علي مي ويقدم اليها كراسة الرسم والقلم الرصاص ويطلب منها رسم الحصان قائلا مداعبا

جمال :لحظة يامنة مي ستعلمنا كيف نرسمه

منه بحزم وهي تنظر لمى بتحدى

هي لاتعرف

جمال وهو ينظر لمى بتشجيع بينما مي تنظر لمنة بعتاب

كيف عرفتى؟!

منة :أنا سألتها

وقد طلبت من ماما ولكنها لاتحب الرسم

جمال مستغربا ويكرر ما قالت
لاتحب الرسم؟!

منه : نعم قالت ذلك

مي كمن يلقى بمفاجأة وهي ترمق منة بسخرية

مي : ماما ترسم جيدا ولكنها لاتريد ان ترسم لك فتنظر منة لجمال بترقب عابسة الوجه

فيبتسم جمال ويخفى إستغرابه

يجذب جمال ورقة رسم من كراسة بها صفحات معدودة بلاغلاف ويضع أمام مي ورقة وقلم رصاص وأمام منة ورقة أخرى وقلم رصاص أيضا كما يمسك هو بورقة له ويحاول رسم حصان

على أن يبدأوا معا في محاولة لرسم ذلك الحصان الأبيض

جمال : كلنا سنرسم الحصان الأبيض ونرى من منا قد رسم الحصان أفضل

فتضحك البنات ويرحبن بالفكرة وتبدأ كل منهم في محاولة الرسم وتقليد نموذج لحصان مرسوم علي قطعة من المكعبات التقطها جمال من صندوق الألعاب وقام بوضعها أمامها

تظاهر جمال أنه يضاهى رسم الحصان مقلداً الشكل المرسوم علي المكعب ورسمه في الورقة وهكذا أخذت تقلده الفتاتين وهما مبتهجات وقد سيطر جو من التنافس عليهن

تظهر نهي ثانية من جانب في الشقة وهى تنظر عليهم بترقب خاصة بعدما ساد صمت بداخل الغرفة إلا من أصوات إحتكاك الأقلام بالورق

منة مهللة بزهو وهى تقرب ورقتها الي جمال وقد رسمت احدى أذن الحصان فيتهلل وجه جمال ويثنى علي رسمها بنطرات التعجب والإعجاب

جمال : واوو! لقد قولتى أنك لاتستطعين رسم الحصان الأبيض؟!

ولكي يظهر باللون الأبيض نقوم بتلون ما حوله بلون أخر علي أن يكون باللون الأخضر مثلا وكأنه يقف في مزرعة مفتوحة أو حقل ملىء بالعشب
تتدخل مي في الحديث وهي تحاول الرسم هي الأخرى وتظهر في ورقتها الخطوط الخارجية لجذع الحصان مضاهيا للحصان المرسوم علي المكعب!.

مي : الرسم سهل يابابا ! لن أتوقف عن الرسم ثانية

منة بثقة وتأكيد وهي مستغرقة في الرسم تنظر تارة للمكعب ثم بالقلم ترسم في الورقة..

منة : ولا أنا ..

فيبتسم جمال وينسحب من بينهم ويتركهما ترسمان الحصان الأبيض

منوها

جمال : أخبرونى ما أن تنتهيان من الرسم..فتنادى أحدكم عليّ

منى ومي : حاضر يابابا

ويتسلل جمال خارجاً من الغرفة الي الصاله يفتش بنظره فيها عن نهي

يطل برأسه بإتجاه المطبخ يجد المكان ساكناً بلاأصوات تنم عن تواجدها بداخله

فيتجه الي غرفة النوم

فيجد نهب ممددة علي السرير مسترخية وما أن تراه تعتدل وتجلس ممددة تستند لظهر السرير بينما هو يظل واقفا مكانه

نهي بلوم

–لما تتوقف هكذا في مكانك ؟

جمال :لاشيىء ..كنت أبحث عنكِ

نهي :وكأنها تتلو عليه مايطلبه غالبا منها وذلك علي سبيل اللوم وشيىء من التوبيخ

–هل أعد لك فنجان قهوة ؟

جمال يتطلع اليها في دهشة وترقب

لا

نهي بألية وبنبرة صوت عاتبة وبها بعض الحدة

-أعد لك كوكتيل الفواكه بالحليب؟!

جمال

ويقاطعها ..

وهل أبحث فقط لطلب أكل أو شراب يانهي؟!

نهي

بغضب مكتوم

لما كنت تبحث عني ؟

ويرد عليها مباشرة

-لأسألك ..منذ متى وأنت لاتعرفين كيف ترسمين؟!

لّما لم ترسم لمنة الحصان الأبيض ؟

نهي بإستدراك وتأثر

-أعرف ولكنى لاأريد وهي تلح في عمل ما تريد تريده في وقت

ومعاتبا : مثلك يانهي

فترد بإستنكار ولوم : أنا؟..هل أنا ألح في تنفيذ ماأريد في حينه مثل ابنتك ؟!

متعجباً: مثل ابنتى؟!

نهي تخفف وتتراجع عن الحدة البادية في كلامها

-كثيرة هي طلبات البنات ..لاتفرغ أوتنتهى

وأنا متعبة من كثرة شكواهم وشجارهم المستمر علي أبسط الأشياء

ينصت لها بتفهم

-قدرنا الجميل أن نرزق بتؤأمتين

نهي يستوقفها وصفه هذا فتتأمله بعتاب ولاترد بينما هو مبتسما تمتلاء عينه بالرضى والطمائنية والإمتنان ومازال واقفا في مكانه

فتعتدل في جلستها وتفيض عينها بالكلام تهم بقول شيئاً ولكنها تتراجع

فتنوب عنه نظرات الحيرة والعتاب في عينها بينما جمال يستدير ويهم بتبديل ملابسه استعداداً للخروج..

وفجأة تندفع مي الي داخل الغرفة عليهم وهي تمسك ورقة الرسم مهللة

مي:بابا؟

فيلتفت ناحيتها مبتسما وتقرب ورقة الرسم ناحيته

مي:رسمت الحصان

فيمسك الورقة ويتأمل الرسم بإعجاب ويثنى عليها في حين نهي تراقب ما يحدث ولاتتحدث

جمال : هذا حصان بالفعل

مي: وأبيض أيضا

جمال : ذكية ولامحة مثل ماما بالظبط

فتبتسم نهي في سخرية وتخرج من الغرفة في متعاض وضيق

جمال ينظر عليها بحيرة وقلق ثم يلتفت لمي التي تتأمل في رسمتها وتنتظر الملاحظات من جمال بينما يأتى صوت منة من الصالة وهي ترى نهي رسمتها هي الأخرى قائلة

صوت منة :ماما؟!..رأيك وبكل صراحة

صوت نهي:أنت ترسمين أفضل منى لما طلبتى أن ارسمه لك

صوت منة: بابا عرفنى كيف ارسم

ينتصت جمال لحديث منة مبتسما بينما مى منشغلة في تأمله رسمتها

جلب من صندوق الالعاب واحدا من المكعبات مرسوم عليه حصان وحكيته منظره فرسمته

وعلي مضض تسمعها نهي ثم تقاطعها نهي لتنهى الحديث

نهي : وقد رسميته مثل ماهو على المكعب ..أعطيكِ جيد جدا

وبسرعة تندفع مي الي الصالة وتسأل نهي

صوت مي :وأنا ياماما ..كم تعطينى؟

صوت نهى : جيد جدا أيضا

ويتجدد شجارا برئيا بين الفتاتان تنهيه نهي

بنبرة صوت حازمة

صوت نهي : اذهبا لعمل باقى واجباتكما إذن

فيدخلا وهما تتناوشان في براءة ومرح

10

في إضاءة خافتة تجلس أحلام في جانب من الصالة علي الكنبة تضم ركبتها الي صدرها ويتردد صوت موسيقا هادئة من جانب في المكان .أحلام غارقة في أفكارها تتلاحق الخواطر علي ذهنها وعينها شاخصة مثبتة في لاشيىء أمامها تهمهم

(صوت أحلام)

لما اخبرتني ليليان بهذا الجانب من حياتها هل لأنها بالفعل نادمة علي الفترة الطويلة التي ظلت تفتعل فيها المشاكل معي وتقف لي بالمرصاد أمام كل فرصة لمكافاة أو امتياز في المركز أنا لاأهتم لمثل هذه المسائل ولكن هل هذا هو السبب الحقيقى وراء حديثها اليوم علي هذا النحو ومن هذا الجانب الأكثر خصوصية في حياتها ؟!.وهل كان شكها في يبتعد عن الخصوصية في شيى؟! هى قالت ولم تقل شيئا هاما وهو أنه تعلم إنه لم تكن من علاقة بينى وبين هذا الرجل الخائن زوجها؟ لما كل هذا ؟! هل هو بوح منها لامرأة مثلها كيف وهي قد اجتازت تلك الفترة العصيبة من حياتها هي تسترجعها فقط فهي في غير حاجة للبوح

أم تكشف لي عن حقيقة عزيز التي أعرفها جيدا لا أدرى لما كان حديثها معى اليوم يتناول هذا الجانب من حياتها ليليان سيدة ذكية وليست ضعيفة كما قالت عن نفسها ولكن ما يهمنى الآن

لما تعمدت أن تتحدثى معى فيما اخبرتنى به اليوم؟! هل بنفسها علمت أنه لم يكن بينى وبين عزيزها شيىء وإنما هى محاولة بائسة منه استهدفنى بها كما يفعل مع الأخريات وقد تأكدت هى من فشلها الذريع معى ..هل لأنها قد قست في تصرفاتها معى وتريد أن تصلح ما أضرمه سوء تفسيرها للموقف علي حد وصفها من النار والخلاف في علاقاتنا ؟!.. ربما فهي امرأة شجاعة فعلا . أنا لست في مثل شجاعتها هذه .أما بالنسبة لزيارة فرنسا فكم اتمنى ذلك

لحظة!..هل تريد أن تصلح ما كان بتهيئة زيارة لي الي فرنسا؟!.. لكنها وقفت كثيرا في سبيل تحقيق ذلك لمرتين !.. أنها تتصالح مع ذاتها وتخمد غيرتها بيدها هي تعلم جيدا وقد تأكدت من هذا أنه ليس من جانب عزيز لي أي عاطفة هي فقط غارت مني عليه وهل ألم أنا في ذلك.هل تقبل أى زوجة أن تنتقم من كل امرأة يعجب بها زوجها وما ذنب الأخريات إذن أم لأن ليليان تملك السلطة لتنتقم ممن أثارت فيها شعور الغيرة المر بسبب إعجاب زوجها بهذه أو تلك لما نقسو نحن النساء علي بعضنا البعض هكذا . لما لايفعل هذا الرجال فيما بينهم أم أن كل رجل يوقن تماما أن زوجته لم يشتهيها رجل أخر؟!إن حاول كل رجل أن ينتقم مما يسدد نظرات الإشتهاء والإعجاب الي زوجته لّما بقى في أرجاء هذا الكوكب رجل.ليليان ضميرها يؤنبها أنها عاقبتنى علي إعجاب زوجها بى؟!.. هو وضعها في مرمى نيران الغيرة ليشتعل قلبها حقدا وسخطا وألما فأستجارت بمنصبها الرفيع لتطفىء ذلك كله بالتسبب في الأذى لي وذنبى كان أن زوجها الخائن الذى تلتهم عينه مفاتن النساء والتي لاتكل أو تشبع رصدنى فما كان منها إلا أن تجعلنى أدفع تكلفة غيرتها هذه وهي تعلم أنى واحدة في قائمة متجددة يستهدفها بدنائته وحقارته هل ذنبى أن أكون محل إعجاب البعض وإن علمت زوجته تخصنى بجام غضبها وحقدها ..

ثم ماذا تفعل النساء في مثل موقفى لترضى عليهن الأخريات هل يتمنين لو كن مشوهات لتكون كل امرأة غيورة على زوجها في مأمن !..أم ماذا نفعل ليحل الأمان والسلام في النفوس لما لاتحاسبه هو؟..

هدأت نفسى تجاه ليليان وقد أقتنص فرصة زيارة فرنسا تلك أمنية عزيزة علي نفسي كنت أتمنى لو كان والدي علي قيد الحياة لأخبره أنى بصدد الذهاب لزيارة البلد التى أُغرمت بآدابها ورفضت مواصلة دراسة الطب لاطّلع على ثقافتها وأنقلها بعضا من مأثرها الي المكتبة العربية فهل كان أبي سيسر لذلك؟..لاأظنه بعد كل تلك السنوات سيكون غاضبا من مسألة التحول للعمل بترجمة الآداب فالأيام لديها قدرة علي نزع فتيل الغضب فيهدأ ويبرد وينطفى ء

في مواضعه بداخلنا

أنها تكسى كل شيىء بطبقة هشة لينة تمتص وتبتلع معها ملامح الأشياء

.إنها الأيام التى مرت دون أن انتبه الي أن عمرى أصبح الرابعة والثلاثين ولم أتزوج ثانية أو انجب ابنة أو بن ثان !

هي التي تمضى فوقي تجرف مني نضارة شبابى وصفاء نفسى وسكون روحى تدفعنى يسارا ويمينا في آتون الحيرة والقلق والترقب وتضعنى علي حافة الإنتظار أنتظر منها أن تمضى بوتيرة اهدأ لأتمكن من صنع حياة جديدة وتحقيق أحلام قديمة وأعيش يوما بعدد ساعات أقل عجلة في مرورها .

انجز ما أطمح فيه وأخطط له واكتفى من عدد ساعات نومى بلاقلق ولاأرق أن تحنو علي من يقف مثلى في محطات الإنتظار لو تعى الأيام ما يحدثه مرورها الخاطف من شروخ في أرواحنا وتمزقات في نفوسنا وفوضى في ذواتنا كيف تمضى فزعة ونحن مازالنا نخطط بتأنى

وجموح آمال الغد مرور الأيام بتلك السرعة يصيبنا بالصدمة والخيبة نشعر أننا نقف في منتصف طريق ممهد في مكان ناىء تمضى السيارات عليه مسرعة تخلف غبار وإندفاع الهواء لاتتوقف هي تمضى فقط الي أين فقط تمضى لما فقط تسرع وتتبعها عدد آخر الي مالانهاية لايكاد يخلو من مرورها عليه تدك الأرض من تحت عجلاتها تحدث صوتاً يدل علي وجودها عليه في تلك اللحظة الخاطفة هل ستمر بعد غد ؟ ولما لعلم الطريق بهذا إن مرت ثانية أو مرت آخرى غيرى الطريق جعل لتمر فوقه السيارات ومختلف المركبات حالة من المرور المستمر والمتجدد فوقه هكذا هي الأيام مرور سريع يخلفه مرور بطىء أو سريع هو مرور . لم تظهر علامات السن بعد علي محياى فوجهى يفيض نضارة وطرواة وشباب كما أن عينى لامعة وبيضها صاف ومقلة العين لامعة تنم عن عافية الجسم ولى نظرة مشرقة لاتتوارى إلا أوقات الضيق والحيرة مثل وقتى هذا أنا حائرة وأسفة علي نفسي!.. لما أحببت رجل متزوج ولديه أسرة لما أغرمت به وأنا أرى رجالا كُثر وقد حاول البعض التقرب مني مثل عزيز ليليان وأنا أصد وأمضى في طريقى لما جمال

أكرر أرى رجال غيره كثر كل يوم ! وهل كل ما أراهم يختلفون عن جمال في كون أغلبهم متزوجون!..ولكننى لم أغرم بأياً منهم وهل تلك فقط معضتلك الوحيدة؟..

نعم كيف احبه بعد سنوات ظل قلبى مؤصد علي أحزانى وشجونى في بعض الأوقات الأكثر قاتمة لديّا كنت انظر في لحظات ضعفى الشديد ونفاد أملى أن الحب ترف أو أنه لن يكون له جدوى في التصدى لما اشعر به من ضيق وضجر وسخط ومضت حياتى تسرقنى الأيام وتسلمنى لبعضها بنفس فكرتى لا أراه هاماً أو ضرورياً أو سيضيف ليومى وحياتى من جديد ؟! وهو كذلك!..

تصمت أحلام لحظات وهي تحاول الإفلات من أحكامها الإزدواجية وتخبطها المتعمد لتهيل النسيان علي حبها لجمال تتخبط بين شعورها بالذنب وبين شعورها بالإنانية بالذنب في حق أسرة جمال وبالأنانية فيما يخص كريم إبنها الوحيد الذي ترى أن ارتباطها ولو بالحب سيأخذها من ابنها الذي ترى أنه هو الأهم والأولى بكل عواطفها ومشاعرها فمن يهتم به ويحتويه سواها لا أحد له غيرها أما أسرة جمال التي لاتعرف عنها شيئا فهى ترى أنها استهدفت بمشاعرها أمن واستقرار تلك الأسرة وتأخذ منها القائم بأمرها والراعى لها كما ستتسبب في آلم لزوجته والحيرة والخوف والقلق لأبنائه خشية إهمال أبيهم لهم والذهاب لأخرى كما وإن الأم هنا لاتتوانى في اشعال الغضب في نفوسهم تجاه أبيهم ..

هل أقسو علي نفسى في شعورى بكل هذا أم أن عليّ أن أعفى نفسي من الشعور بأي ندم أو إتهام بالأنانية خاصة وإننى لم أخطط ليكون لي ولم أدرى كيف تسرب الحب الي قلبى لما أقسو بهذا الشكل علي نفسى لما أعتصر قلبى وهو الظمأن الي الحب ولّما اعتبر حبي لرجل أنانية مني في حق ابنى وأنى بصدد إهماله واشعاره بأنه فقد كل معين له في الحياة ؟!

الي أين ستوصلنى قسوتى علي نفسى ..بلا شك الي أبواب الجحيم النفسي الذى اكتويت منه بعد رحيل زوجى وأنا شابة بأواخر العشرينات من عمرى هل في نفسى طاقة لتحمل ذلك مجددا

وهل كل امرأة أحبت رجل متزوج كانت هي وراء تحطم بيته وشتات أبنائه وإيلام زوجته هل كل البيوت أمنة وسعيدة ومتماسكة حتي تأتى المرأة الأخرى فتحيل أحوالها دمارا وإعصارا

وأن كل الزوجات هانئات مطمئنات حتي تظهر الأخرى وكل الأزواج سعداء مكتفين بأسرهم يعتنين بهم ولايكادوا يبتعدوا في غير أوقات العمل من فرط الدفء والسرور في أرجاء بيوتهم حتى تأتى الأخرى فتلقى تعاويذها وطلاسمها فيغدو رجلا بلارحمة يدمى قلب زوجته ويلقى بفلذات كبده الي الطرقات ويهيم خلفها يتمنى رضائها ويغدق عليها من عواطف وماله؟!

كل رجل وامرأة يعلمان جيدا لما يذهب الأخر ويبتعد عنه ولكننا نتقن فن الكذب علي أنفسنا ونفتش مع أول مشكلة عن آخر أو آخرى يحملوا عنا أسبابها لنعفى أنفسنا من أسباب وقوعها وأيضا نعفى من ضرورة حلها فهي برمتها ليست من صنعنا ونظل ندين ونتطهر علي حسابهم فنخرج من مشكلة لنقع في جديدة ونحن نخدر أنفسنا بجدارة وحرفية بنصف مايبذل من جهد هنا كان يمكن أن نلحق من بوادر أي مشكلة ونحاصرها ولكن هل العمل وتحمل المسؤلية ترف؟ هو أمر شاق يتهرب منه الغالبية ولكن!..كيف اتصرف في مأزقى هذا كيف أفلت أنا وسأبدا بنفسى أنا في مشكلة أنا أحب رجل متزوج ولديه أسرة لا أريد أن يحولنى البعض لخرابة بيوت ولاأريد أن أضع حياتى في مهب الريح أنا أبحث عن الإستقرار أريد تكوين أسرة من جديد زوج وطفل أو طفلة هذا لن يتحقق مع رجل متزوج ولديه بيت آخر وأبناء آخرون وزوجة بالطبع آخرى ثم هل أقوى أنا علي إحتمال أن أكون الأخرى والزوجة الثانية هذا آمر شاق علي نفسي ووضع مركب ومعقد!

علي أن أنهي كل هذا وأعود الي وضعى الذي شاءت له أقداري أن يكون عليّ أن أحمى حاضرى ومستقبلى من تجربة المضي فيها سيكون مكلفا لاأريد أن أشقى بفراق جديد بطلاق علي الأغلب فيكفينى فراقا واحدا كان بموت والد كريم لا أريد أن أعايش أشباح الفراق ثانية ولاسيما ولي يد فيه . لّما أتزوج ثانية وأضع حياتي في مواجهة أهواء رجل آخر قد يتخلي عني في أي لحظة ويذهب مخلفا ركام من الحزن والحسرة في قلبي أن قلبي لن يحتمل .علي أن اكتفى بما لدي فأنا أم لشاب يافع ومطيع ومهذب وأعمل في مركز متميز ووظيفة مرموقة ما ينقصنى إذن اهتزاز أكيد في حياتى ليضطرب كل أركانها وأظل سنوات أرمم في نفسي وأصلح ما هوى لّما أفكر في تكرار الزواج ثانية ؟! وهل القبول كأرملة بأن أكون زوجة ثانية سيهدى إليَّ سعادة جاهزة لا بل هو فشل وشيك لما أفكر في العمر الذي يمر وأقيسه فقط من ذلك الجانب أنني لم أتزوج بعد والعمر يمر سريعا .فليمر العمر هل هو يمر علي وحدي هو منذ

خلق الله الكون والعمر يمر والأيام والسنوات تطوى أعمار البشر فليمر العمر عليّ أن أتوقف علي حسبتى الخاسرة والخاطئة لّما اقيس مروره فقط بأنى لم أتزوج وأعيدعمل أسرة من جديد لّما أحصر مروره في تلك الزاوية ؟

العمر يمر وكريم يكبر أمام عيني يبتهج لرؤيته قلبي ويسرخاطرى وأرى ثمرتى تكبر أمام عينى هو في المرحلة الثانوية حاليا وبعد وقت سيلتحق بالجامعة ثم يتخرج ويعمل ثم يأتي يوماً وهو فرحا ليخبرنى علي استحياء وقد رأى هو أنه حان وقت أن يعلن لي عن أسم حبيبته والتي سيطلب مني أن اقصد بيت أهلها ليخطبها وتناقش مع أهلها في تفاصيل الزواج وأقترح عليه أن يقيم الزواج في احدى القاعات التي اعجبتنى وقد حضرت بها فرح احدى بنات صديقاتي ويتزوج وأفرح ويكن لي منه الولد والبنت لما أقيس مرور العمر فقط وأتألم بعين دامعة أني لم اتمكن من عمل أسرة جديدة ويكن لي ولدا ثان أو ابنة ؟!..يجب أن أتوقف وأترك العمر يمر كيفما يشاء مثلما يفعل مع الجميع علي أن أصل لحل ودي يمكننى من قبول هذا العمل وأتوقف عن كل فكرة تضجع منامي وتعكّر فكرى وتمرر ذهنى بخواطر واهية تطعن في روحى وتهز قلبي وتستهدف تماسك نفسي أم أقبل كل هذا وترك الأمر يتلاعب بي وأهوى يوما تحت أنياب المرض وأذبل وأموت فجأة متي إذن سأعمل علي تسوية عادلة مع العمر متي سأتقبل مروره بنفس فرحة وقلب مطمئن وعقل مستريح وقانع هل الأمر صعب أم أني أرفض ما يكمن داخلى سأفتش عن قناة تمكنني من المرور أنا الأخرى لمقابلة العمر في لحظة خاطفة قبل أن يمر أقسم له فيها أني ساحاول قبول مروره فوقي كيفما يشاء وقد أصفق أنا له كيف ومتي أفعل ذلك وأنجح به ..هل سأتمكن من ذلك يوما أم سيمر العمر وأنا احاول ؟!..لو كان العمر ناطقا لاجابنى هو فقط يمر في صمت وعلي وجل .

يقطع علي أحلام سيل أفكارها وقوف كريم أمامها من لحظات يحملق في وجهها المبتل بالدموع وعينها التي صارت حمراء كمن أصابه الرمد وجسدها الذي يرتعش

كريم

بخوف وجزع والدموع تحتشد في عينيه

ماما؟!

وينحني فوقها وقد تكورت في مكانها وتبدو كإمرأة عجوز طاعنة بالعمر ترتحف تتساقط الدموع من عينها بلاتوقف !

وتنتبه أحلام لكريم فتنظر عليه من وضعيتها المنكفئة وهي تنظر من منتصف عينها وجفونها تكاد تنطبق علي بعضها لم يخرج منها صوتاً تنتبه أحلام أنها كانت تبكي وقد اختنق صوتها

يتأملها كريم بعين دامعة وهو يربت علي ركبتها وباليد الأخرى علي كتفها فتعتدل أحلام بعناء وتسترد وضعيتها وتحاول أن توجه له كلاما ولكن لاصوت فتسعل في محاولة ليخرج صوتها

وبصوت واهن متأثر بالبكاء

أحلام : كريم!.

كريم وهو متوحد مع حالاتها يحز في نفسه أن رأها بتلك الحالة من الوهن والإنكسار والحزن الشديد تتساقط دموعه دون سيطرة منه عليها ويلملم نفسه وبنبرة حازمة ولهفة

كريم : مابكِ ياماما؟..هل ضايقك أحد؟!..ماذا حدث ؟..أخبريني

لّما تبكين ؟..هل ضايقك أحد؟!

فتهز أحلام رأسها بجدية بالنفى وتقشعر جبتهتها لتوحى له بأنها متعبة قليلا لتطمئنه وبالفعل يبدأ في إستعادة هدوئه ويتلاشي قلقه إلا من تأثر يذداد علي ملامحه وفي عينه التي تتفحصها بقلق وشفقة ترى أحلام أن عليها أن تخبره بشىء بأي شيىء ليهدأ وتتوقف عينه عن التفتيش بداخل عيونها ليعرف السبب فتقول بصوت مبحبوح

أحلام :الذكريات !..الذكريات ياكريم ..

فيهز رأسه وقد أيقن أنها تفكر في والده الراحل وحياتها معه فيتأملها بشفقة ويربت علي كتفها بشفقة وتأثر متنهداً وقد تلاشت من عينه الحيرة والقلق ومعهم التساؤلات في حين تتأمله أحلام بعين متأثرة بالبكاء تغبطه علي أنه استراح لمعرفة سبب بدد كل ما به من قلق شيىء يروق له أن يكون السبب تجده محظوظا أن معرفة السبب يريح النفس ويخفف من القلق في حين هي سبب ما هي فيها يلازمها للأبد يعاودها كل فترة وقت ما يريد ولايختلف عن الذكريات ليت الزمن والخوف منه يتحول الي ذكرى ولكن من سيتذكرها حينها سأكون طويت طوانى العمر مع السابقين هل الأفضل أن أظل خائفة من سطوته علي أن يسكت كل ما في وأنزوى في ذاكرة النسيان الأبدى من عمر البشرية ليأتي أناس جدد يمرون بما نمر ويعايشون ما نعايش أيهما أفضل أن ألتمس البقاء الأطول في ظل الخوف من سلطته عليّ أم أسكت ذلك الخوف وأتقبل مسائلة فنائى عليّ أي حال ووضع وكيفية ؟

سؤال صعب بعد أن أطمأن كريم أن ما لدي أمه كان من حمى الذكريات الطارئة اطمأن وانصرف لّما سيقوم به بينما أنا توجهت الي سريرى بعدما قمت بتقديم العشاء له في حين اكتفيت أنا بتناول كوب من الماء لعله يطفىء شجونى المشتعلة وضعت رأسي علي وسادتى حاولت أن أنام وظللت أتقلب في سريرى وتتساقط فوقي الأفكار وتطل من رأسي الخواطر استعجلت مولد يوم جديد لأغلق صفحة هذا اليوم الثقيل !

في الأيام الجديدة فرصة لنيل ما ينقصك وتعويض ما ضاع ليس غالبا هذا ما يحدث ولكن كل يوم جديد هو بحد ذاته فرصة لإصلاح ما تلف منا ومن حولنا أرجو ذلك بقوة فأنا في أمس الحاجة لقدوم مسكنات عاجلة أم لم تكن بالفعل أمور حقيقية تعوضنى عما أصابنى والمني

عبرت الحديقة وأنا اتنفس الهواء الممتزج بورائح الزهور الذكية وأنا أعبر الحديقة جعلت عبورى لها أطول من المعتاد أحتاج لمسة حانية من الطبيعة فهي بيت الجمال كل الجمال سماء صافية تذكرك أن الرحابة والصفاء هما أكثرمساحة من الضيق ففي رحابة الأفق ينعكس علي صدرونا لتتسع فينزوى في جانب آلامنا ومتاعبناوتتخدر أوجاعنا ولكن كيف سيبقي القلب شابا بلا حب هل مصيرى أن أهرم ويهرم قلبي إن القلب يهرم قبل الجسد وبعده تباعا لحالة الشخص ولكن كيف أجعله شابا في حالة لن أتمكن من الوقوف في وجه مرور الزمن و لاكى ابقى قلبي شابا أسقيه حباً القلب كالطفل لايترعرع جيدا إلا في أجواء من الدفء والعناية كيف ابقي علي قلبي شابا ودافئا بغير الحب؟ علي أن أجد ثمة ما يجعل قلبي قوياً وسليماً بعيداً عن الحب ..لم أعد أثق في حظى من الحب فهو أما وجع أو خيبة أمل

ثم أنا لاأعرف هل جمال يحبنى كما يبدو لى منه ؟!..تضحك في سرها ساخرة إن كان يحبنى ما يمنعه إذن أن يقول لّما لم يخبرنى ؟ لا يحبنى كما لو أنه يجبنى لأخبرنى أم يتردد في إخبارى لأنه متزوج ؟ وربما لم يخبرنى لأنى قد لاأقبل ذلك الوضع سأرفض أن أحب رجل متزوج ؟..لاأدرى كيف يفكر ولكنه يحبنى وهذا مؤكدا بالنسبة ليّ ولكن عليّ أن أواجه نفسى أنا بما أود سؤاله عنه .. هل تقبلين حب رجل متزوج والدخول في علاقة من ثلاثة أطراف ؟تضحك أحلام ساخرة ؟!..لست امرأة شرقية مثل ليليان ولاأنا امرأة غربية مثل رولا أنا إنسان والحب عندما يأتى لايختار ولايعرف شروطنا وحدودنا في الحب هو الحب يأتى وكفى وطرفيه هما من يوجهونه وبدورى لم أكن لأبحث عن شريك فراش أنا كنت أشفق علي قلب خال من

الحب وعندما شعرت بحب جمال ابتهجت لذلك حب للحب إنما كونه متزوج فهو أمر يعنيه وأنا لم أطلب منه الزواج لأفكر في مسألة هل أقبل الدخول في علاقة ثلاثية أم أرفض فأنا أرفض أن أكون عشيقة وهذا يقيني في نفسي مثلما هو بحب جمال ليّ..

ترفع أحلام كفيها من علي الكيبورد وتعتدل في جلستها وترجع للخلف إذ كانت تميل الي مكتبها منحنين الكتفين تفرد ذراعيها وتحرك كتفيها لأعلى وأسفل بمرونة وتثنى ذراعيها وتفردهما مرارا لإستعادة الليونة اليهما وتجذب النسكافيه وترشف رشفة فتجده قد برد تماما بعدما استغرقت وقتا طويلا في شرودها والغرق بأفكارها فتنظر في الساعة تجدها الحادية عشرة فتعتدل في جلستها وتتراجع عن فكرة القيام وعمل مج نسكافيه أخر يكون ساخناً وتشروع في عملها بنفس مقبلة وهي تتنفس بعمق كمن تخلص من ثقل وتنكب علي الكيبورد تقلب في الملفات علي الجهاز وتفتح احدهما وتقر على الكيبورد بسرعة والية وعيونها تلمع بالتركيز وتستغرق في عملها وبجوارها القاموس مفتوح تنظر فيه ملياً تلتقط كلمة وتنقلها علي الكيبورد وتقوم بعمل وقفات وفصلات وهي تنظم مسودة العمل بينما ترشف من النسكافيه البادر بلاغضاضة وبهدوء وهي تكتبت وتنقر علي الكيبورد..

12

في نادى رياضى تراقب صفاء صديقة نهي أولادها وهما يقومون بالتمارين الرياضية والنادى من حولهم ممتلىء بالأطفال وأمهاتهم بينما تجلس صفاء وأحلام معا يتناولون مشروبا

بنشوة انتصار تمتلاء بها نبرات صوت نهي وصفاء تنصت لها بترقب وإعجاب

نهي

مردفة بعد صمت متقطع

كما أخبرتك لاجديد

–شادر ومهموم وأنا أتجاهله تماما

صفاء :مع الوقت سيزول همه لاتنشغلى كثيرا بأمره

نهي :الغيظ فقط من يسيطر عليّ

صفاء : معاك ..

أؤيدك أن الأمر يغيظ ولكن هما هو معكِ أنتِ وأمامكِ تشاهدين حالته

نهي : لايهمنى شيىء مادام هو معيِ حتي مسألة غيظى يخفف منها حيرته وضيقه المستمر

بينما أنا مرتاحة لتلك الحالة التي تتلبسه

صفاء :تعلمين منها أنه كالطفل الخائب يريد ويرجوما لاتطاله يده

لايملك إلا أن يفكر ويفكر وهو ملتاع حزين

نهي: حزين؟!

صفاء :أقصد..لاحيلة له

ولا حول أو قوة كل مافي إستطاعته أن يفكر فيها

نهي : الغبى؟!.. ولّما يفكر في أخرى وأنا معه

صفاء :تستكثرين عليه التفكير وأنتِ محكمة سيرتك علي الأمر

اتركى له التفكير فهو من حق الجميع

تضحكان

صفاء : والأهم أنكِ سيدة الموقف وصدقينى مع الوقت سيتنهي ويتلاشي كل شىء

نهي بتوعد وحنق

نهي :لن انساها له ما حييت لن انساها له أبدا

صفاء تهز رأسها متفهمة ومؤيدة

–كل شىء مع الوقت ينسى

نهي :لن أنسى

صفاء : لن تنسي ولكن لن تكوني غاضبة ستصبح ذكرى باهتة منزوعة الألم ستتحول الي وخذات فقط

نهي :أتمنى أن تمر تلك الأيام الصعبة وتتحول الى ذكريات منزوعة الألم كما قولتى ياصفاء

صفاء : سأذكرك بهذا لاتتعجلى ..

نهي ترشف من العصير بشهية وترمق الكوب وعينها مليئة بنظرات الرجاء والتمني في حين تتأملها صفاء بود وتشجيع

أصوات الأولاد من حولهم يتداخل ويعلوا وهم يتحدثون مع أقرانهم وحقائبهم بجوار نهي وصفاء وحال باقي الأطفال هكذا مع أمهاتهم اللاتى تنتظرنهم ..

تطرق أحلام باب غرفة كريم مساءاً وهي تطل من فتحة الباب وهي تمسكه بيده وتتوقف مكانها فيتلفت ناحيتها كريم ويرفع عينه عن شاشة التلفون ويبدو كان يهم بالرد علي رسالة جاءته لو لا دخول أمه

أحلام :لك مفاجأة عندى فيتهلل وجه كريم ويميل برأسه ويطرق سمعه لتخبره فتبتسم لهئيته

اخترت ترجمة كتاب صدر منذ فترة كبيرة بعض الشيء يتناول السيرة الذاتية لأشهر لأعب كرة برازيلى كان يحبه بابا بشدة

كريم مهللاً وبدت علي ملامح وجهه مشاعر الحنين والشجن معا ثم يبتسم بمحبة وهو يتأمل عينا أحلام المليئة بالرضى والأمان!..

كريم :بيليه ؟!

أحلام : الله يرحمك ياعلاء

نعم ياحبيبى اللاعب البرازيلى الأشهر بيليه قصة حياته وقصة صعوده للمجد والشهرة والنجاح من شوارع البرازايل والعمل كماسح للأحذية الي صاحب قدم ذهبية والتربع على القمة

كريم : شوقيتينى

أحلام : ستدهشك عند قراءة الكتاب ستمتعك

يقوم كريم من مكانه وهو يقبل يد أمه بإمتنان وفي مرح

واللاعب كريم علاء ؟!

فتضحك وتقول بإستنكار

أحلام : أتريد أن تصبح لاعب كرة قدم؟!

كريم مترددا وهو يمزح

-بل كرة طائرة

أحلام وهى تهم بجذب أذنه بدعابة

أحلام : لم اسمع !. اعد ما قلت

فيتظاهر كريم بأنه كمن فقد الذاكرة ويشير بإصبعه ناحيتها متسائلا

حضرتك تعرفينى؟!.. من أنتِ ؟! وأين أنا ..تضحك بشدة وفي إمتنان وزهو

أحلام : أما زلت تتذكر!

هذه هي الرواية الأخيرة التى قمت بترجمتها وقصتها عليك

كريم وهو يهز رأسه مؤكدا

-لا أنسى شيئا تخبرينى به وتقصيه عليّ

أحلام : كلامك يحفزنى لانجز ترجمة سيرة بيليه علي وجه السرعة

كريم : اتمنى قرءاتها بالفعل

أحلام :ويومها سأقوم بدعوتك علي العشاء لنحتفل

كريم يقفز في مكانه فرحاً

كريم : وأنا موافق

أحلام تعانقه بحب ويضحكان..

أول يوم في الدراسة من الفصل الثانى الدراسى وبعد عودة الطلبة من أجازة نصف العام

يتدفقون كالنجوم المتلألئة تحت سماء صافية وضأة بأولى ساعات النهار وسط أجواء شتوية باردة , تتوقف أحلام بسيارتها أمام بوابة المدرسة فينزل كريم على الفور يلقطه زملائه ويصافحون بعضهم البعض في حرارة ومحبة وحالة من الإنتعاش والإبتهاج تسيطر علي الوجوه ويتقدم الطلبة بإتجاه البوابات المفتوحة علي مصرعيها بينما تراقب أحلام من المرآة الخلفية كريم وزملائه باسمة ثم تنطلق بسيارتها في طريقها للذهاب الي عملها تنتصت الي موسيقا فرنسية كلاسيكية ناعمة تدخلها في جو متواصل من الإنتعاش والإقبال والإرتياح وتنطلق وسط السيارات بهدوء ويقظة بينما تعانق أصداء الموسيقا الهواء البادر القادم من شباك السيارة ما إن تصل أحلام الي مبنى المركز تترك سيارتها بالجراج وتتنطلق الي الداخل تلمح من بعيد ليليان وعزيز يسيران معا في منتصف الردهة فترتبك وتفكر في أن لو تبطىء من خطواتها حتي لاتلحق بهم وبالفعل تبطىء من خطواتها وتنظر الجهة الأخرى لبعيد تحسبا الي أن يلتفتا فيجداها خلفهما فتسير أحلام ببطء في الممر وتنظر بالفعل للجهة الأخرى بينما أفكارها تتلفتي يمينا ويسارا وفجأة يتردي من خلفها صوت رولا تنادي عليها بعفوية وبصوتها الأقرب الي الجرس الرنان بلكنة عربية متأثرة بالفرنسية

أحلام وكأنها الألف صار هاء في نطقها للأسم فتلتفت أحلام الي رولا في حين يلتفت عزيز الي أحلام وليليان أيضا والتي تنظر عليه بسخرية وضيق مستتر وترسم ابتسامة كيلا يلتفت ويلمح رد فعلها وتنظر ناحية رولا وأحلام مبتسمة بينما تتوقف أحلام في مكانها وتلحق بها رولا التي تمسك بيدها تتأملها بإمتنان وعتاب محبب وتبتسم فتخفض عينها وتبتسم في سماحة لرولا

رولا :صباح الخير أحلام

أحلام : صباح النور يارولا .. أركِ أجمل من كل يوم

تبتسم رولا علي استحياء وهي تتأمل هيئة أحلام بإعجاب وفي ثناء

رولا : ميرسى أهلام

إن لطفك الدائم يخجلنى حقا ..

فتبتسم أحلام ويسيران بإتجاههما هنا يلمحا ليليان وعزيز ينظران عليهما بترقب بينما رولا و

أحلام ينظرا لبعضهما البعض

رولا صائحة همسا

–اه واه !

وأحلام تنظر عليهم مبتسمة وتبتلع دهشتها من تلك الصدفة

–صدفة لطيفة ..ورائعة !

ويتقدمان بإتجاههما والعيون تعكس نظرة تعكس ما يحمله كل فرد ويخص به واحد من بين الباقين

تتجنب النظر لعزيز وتنظر صوب ليليان مبتسمة ورولا تنظر لليليان بلوم شديد وترسم ابتسامة مترددة بينما عزيز ينظر لأحلام بإستنكار ويرسم ابتسامة بلامعنى أما ليليان فتستقبل نظرات الجميع وهي تود لو تلتفت وتنظر في عينا عزيز ما أن يقتربوا نجد أحلام تتقدم الي ليليان وتصافحها باليد ثم عزيز الذي لفت انتباهه مصافحة أحلام لليليان أولاً بينما رولا تفعل العكس تصافح عزيز أولاً ثم علي مضض تصافح ليليان التي تتأملها بحذر

أحلام – رولا .. صباح الخير

عزيز : صباح النور..

ليليان : صباح النور .. صدفة مدهشة إن نتقابل كلنا بعد أسابيع

لم نرى بعضنا البعض معا هكذا وصباحا!

رولا : فعلا.. أهلا أستاذة ليليان

ليليان : أهلا بك رولا.. كيف حالك

رولا : بخير

ليليان : أهلا أحلام

أحلام :أهلا أستاذة ليليان ..أهلا مسيو عزيز

عزيز :أهلا أحلام .. كيف حالكِ

أحلام : بخير

ويسيروا جميعهم مع بعض يتبادلان الإبتسامات

عزيز : لو لم نكن بأول وقت العمل لقصدنا الكافيه ونجلس جميعنا

لتناول مشروب دافىء ونظمن علي أخبار بعضنا البعض فمنذ فترة طويلة

ويرمق أحلام بنظرة لوم ويخفيها بإبتسامة مشرقة يخص بها ليليان التي تتلفقها منه بود وهي تخفى سخط علي ملاحقته لأحلام بنظراته المعتادة وهي تنتبه جيداً لتعمد أحلام أن تنظر بعيدا عن مجال وجوده فتنظر لها تارة وأخرى لرولا

رولا تلتقف هي طرف الحديث قائلة

–ولما لا نحدد وقتا ونتقابل فيه جميعا

أناوأحلام معا كل يوم ولكن مسيو عزيز غائبا عن المركز

منذ فترة ولدىّ بعض المسائل التي أود أن أستضوح عنها منك ..

تنصت ليليان بترقب وهي محتفظة بإبتسامة هادئة وتتقلب في عينها مشاعر مكتومة في حين يرحب عزيز بفكرة رولا

عزيز : أنا متواجد في المركز طوال أيام الأسبوع خاصة وإن

مواعيد سفرى للخارج لم تحدد بعد من قبل إدارة المركز ..

رولا : عظيم .. اليوم في موعد الغداء؟!

عزيز : بالطبع وبكل سرور

ليليان وأحلام ينظران لبعضهما البعض ولاتتحدثان

رولا : كما قالت أحلام بأول الممر فور رؤيتنا لكما

أنها صدفة لطيفة ورائعة

فيلتفت عزيز لأحلام مبتسما ويتهلل وجهه ويخصها بإبتسامة أمل وأحلام تنظر بطرف عينها لرولا بخيبة وكأنها نادمة علي ما قامت بقول واصفة تلاقيهم الأربعة معا..

وترمقهم ليليان بنظرة لامعنى لها وهي ترسم ابتسامة علي وجهها

يهوى جمال علي كرسيه أمام مكتبه وينزع عنه الكمامة ويتنفس بعمق وهويزفر بضيق وضجر ويعاود إسترجاع خاطر يلّح عليه لولا طرقات على الباب

جمال: ادخل

تظهر السكرتيرة تدخل وجلة مرتبكة بينما هو ينظر عليها بسخط وإستياء وفي ضيق

–مرات نبهت عليك ألا تدخلي الحالات إلا بعد أن آآذن لكِ

ألم يحدث هذا ؟!.وتخطئى وأجدا المريض واقفاً أمامى ! انبهك

ويتكرر الأمر مجددا!

تحاول أن تدافع عن نفسها فلا يسمح لها جمال بالحديث وهو يشير لها بإصبعه محذرا

–اتفضلي واعتبرى أن هذا أخر تنبيه لكِ

السكرتيرة : يادكتور!..

مقاطعا ويشير لها بيده لتخرج : أتفضلى!

فتخرج السكرتيرة وهي مرتبكة وتتمم بدهشة وذهول

وينظر عليها بحنق ويتلفت حوله بضجر وسخط ويحك جبهته بجانب سبابته وتطل في عينه فكرة يتهّرب منها ويبتلع ريقه بصعوبة ويغمض عينينه علي أثرها بشفقة وغضب معا ويهب

واقفا وهو يلتفت حول مكتبه مرتبك لايدرى ماذا يفعل تحديدا فيتوقف في مكانه وينظر بتطلع في اللأشيىء ويظل يزفر بضيق وغضب وفي سخط يرد علي طرقة مباغتة علي باب غرفة الكشف دونما أن ينظر ناحيته

جمال : ادخل

السكرتيرة : دكتور!.. حضرتك لم تأذن لي بالسماح بدخول الحالة التي عليها الدور في الدخول؟!

ينصت لها بضيق ثم يتراجع قليلا وينبته الي نسيانه أن ينبهها بالفعل فبنرة صوت اهدأ من السابقة يقول لها

–الجرس تقريبا معلق

وبيد مرتعشة يحاول تجربته فيصدر صوتاً مدوياً في المكان فتنظر له السكرتيرة بدهشة وإستغراب بينما يتجنب جمال الألتفات ناحيتها ويقول لها بصوت واهن رتيب

–أدخلى الحالة الجديدة

فتخرج السكرتيرة بهدوء في حين يتوقف جمال في مكانه يرفع بصره قليلا

وهو ينظر بآسى وتأثر.

في ضوء خافت يجلس جمال منفردا بنفسه غارقا في أفكاره ثابتا في جلسته تحت الأبجورة في جانب من الصالة ويلف المكان هدوء تام من حوله .بعد مضى وقت وهو شاردا بعيدا جمال ينتبه لجلوسه وحيدا في الظلام من ذلك الوقت فينظر حوله بدهشة وذهول متسائلا فيما بينه وبين نفسه لما يلح عليها طيفها ؟! ولما غدت حياتى بلامذاق ولاقيمة بلا وجودها لا أعرفها إلا

من شهور قليلة رأيتها فيهم مرات تكاد تكون معدودة بالفعل ماذا فعلت فيّ و جمال يزفر بضيق وفي نبرة إلتماس حد الإلحاح بكبرياء جريح لّما لم تعد تأتى؟!. هل لم تجد سببا تختلقه لنرى بعضنا البعض ؟!..أم أنها لاتريد؟!..وبنبرة صوت اهدأ لها الحق في أن تأتى أو لاتأتى ..ويصمت للحظات يتخبط في حيرته وإضطرابه .جمال كمن يرفض حالة الألم التي تعتريه علي أثر افتقاده لأحلام فهو علي ما يبدو لم يتأكد بعد من سبب ضيقه وإنفعاله السريع مؤخرا ولّما عزا حالته هذه الي عدم مجيء أحلام الي العيادة ورؤيتها إياه هو في قرارة نفسه يتهرب من كونه مهتم بها يكاد يتخيل أى سبب أخر إلا إنه وقع في الحب وأنه يفتقدها بشدة وقد تعلق بها قلبه ولايطمئن هذا القلب إلا برؤية من يهواه جمال يغمض عينيه بقوة ويزفر بضيق ويسند رأسه براحة يده وتدور عينه في المكان بحيرة وهو مازال يدفع الخواطر بعيدا عنه بلاجدوى شيئا واحد هو الثابت يصف حالته أنه منفعل ويكاد يختنق من شيىء يخشى إن يكون هو السبب بينما هو غارقا في خواطره يبحر في حالته تائها نهي تتمدد علي سريرها في جو خافت تلمع عينها بالدموع وهي تنظر بإتجاه مكان جمال الخالي بجوارها علي السرير تاركاًخلفه أثار نومه من لحظات علي الوسادة والغطاء المرتخي مكانه والمفرود فوق نهي ولم يطول بقاء جمال بخارج الغرفة فيدخل وهو يجر رجليه فتتظاهر نهي أنها نائمة ويتمدد فى مكانه ثانية ويجذب الغطاء عليه فتتحرك نهي في مكانها متظاهرة بأنها قلقت فتحتضنه وتلتصق به وهى تعطيها ظهرها فيلتفت جمال عليها بجانب عينيه وهو ساخط ويتجاهل حرارة جسدها وندائها الصامت للقاء جنسى فورى يبدو أن إلحاح صوت القلب يعلو علي طرقات يد الشهوة التي طالما استجاب لها جمال بتهيئة متعمدة من نهي فكان يرتوى ويهدأ لّماصار الأمر لايفي هل أصبح لايتنمي لأعداد الرجال الذين يفرون من خيباتهم ويستعدون عروشهم المحطمة بإحراز هدف في رحم امرأة أي امرأة ولو تخيّلها وأوجدها فوق عرش خياله كم للأمر من قوة تأثير سريعة ومضمونة ليت النساء تعرف ذلك ليتغلبن علي وطئات الآلام المبرحة التي تتبع عواطفهم

ومشاعرهم مستهدفة قلوبهن لو تفقه النساء شريعة الرجال في تعاملهم فيما يخص مايتعلق بمشاعرهم وعواطفهم وإحتياجاتهم لويعرفوا حقيقة ما يفعلوا بهم لقل عدد النساء قتلي لوعتهم وأحزانهم التي يتسبب في معظمها رجال

بين أروقة المكتبة عبرت أحلام بعينها عشرات الكتب الموضوعة في نظام وفن علي الأرفف تفتش بعينها عن المزيد من كتب تبحث عنها وهى تحمل كتابان متوسطان في يدها وعينها تمر علي عناوين الكتب سريعا وتتوقف أمام بعضها وترفع كتابا وتقرأ ما علي الغلاف ثم ترجعه الى مكانه فى اليه وتسير الى عمق المكتبة بخطوات ثابتة فجأة تجد أمامها جمال فتغمض عينها تظن أنها تتخيله فتغمض عينها وتفتحها ثانية بينما هو يبتسم ومع عدم تصديقها أنه هو تتسع إبتسامته وتضىء وجهه أكثر وكأنها إشارة الي شيىء يحاول أن يتأكد منه لديها كما قد اطمن اليه بداخله أحلام تنظر في عينه تفتش عن إجابة لسؤالها الذي طرحته علي نفسها منذ فترة هل جمال يحبنى بالفعل ولما لم يخبرنى ؟ وبالرغم أن جمال أجاب علي نفس السؤال بينه وبين نفسه إلا أنه يرى إجابه النص الثاني من سؤاله في عيني أحلام وفي الحالة التي هي فيها الآن أحلام تتأمل عينا جمال التي تفيض لوعة وحب وشوق فتبتسم مرتبكة وتذوب الكلمات علي شفتيها في حين جمال يستمتع بتلك اللحظة الرائعة التي تتجلى فيها الإجابات الناطقة بحبهما في عيونهم وما أصدق مما تقوله العيون إن العيون لاتكذب ولاتجمل الحقائق يشهق جمال بنبرة واثقة قائلا

جمال : افتقدتك .. غاب معك طعم حياتى وتاهت قيمتها

تتنهد أحلام بأنفاس متلاحقة والفرحة تطل من عينها وهي تحاول أن تتمالك نفسها

وبنبرة عذبة خفيضة

أحلام: جمال !

وتطل نظرة آسى من عينه تحمل معاني الإعتذار

جمال : لماذا أستبد بنا الخوف فابتعدنا ؟!..

هل هو يخيف إلي هذا الحد ؟ انكارمشاعرنا مؤلم والهروب منه ضياع

أحلام : ربما لأنه جاء في الوقت الغير...

يقاطعها جمال بإلتماس وحزم

جمال : ومتى وقته ؟! بعد مرور العمر؟!

تلمع الدموع في عينا أحلام ولاتتكلم يبدو جمال قد وضع يده علي جرحها وضغط بكل قوة فارتبكت وأهتزت يدها فسقطتت الكتب من يدها علي الأرض فأيقن جمال أنها هي الأخرى تهرب فمال ناحيتها وقبل يدها ثم انحني ورفع الكتب وقدمها اليها بينما هي واقفة مكانها ثابتة تخفض عينها وهي تقول بنبرة صوت مختنقة

أحلام : لم اقصد!..

جمال بلوم

–لم تقصدى ماذا؟!هل نحن مطالبون بالإعتداز لبعضنا البعض!!

لما كل هذه القسوة علي أنفسنا لماذا نهرب ياأحلام؟!.

–لأن هذا الحب سيشقى به غيرنا ياجمال

بحنق وهو يتلفت حوله بضيق

–لاأريد لامرأة مثلى أن تتعذب حينما تشعر أن في حياة زوجها أخرى

هى أنا لا أحتمل هذا ففضلت أن أهرب علي أن أكون تلك الأخرى

والسوط الذى يجلد قلب امرأة أخرى

أنا أخرى لها وهى الأخرى لي نشترك في حب رجل واحد

وأمام جلد الذات الذي توغلت فيه أحلام تجاه نفسها يستجمع جمال نفسه ويقولها بكل تأكيد وفي نبرة صوت حازمة وجازمة

–ولكني أحبك أنتِ فقط

تتلقف أحلام ما قال بصدر منشرح وقبول عميق فتتأمله بترقب

وكأنها تود لو تسمعها منه مرارا

جمال : كنت في حاجة لهذا الحب ولن أفرط فيه . أنا لم أشعرها يوما أنى لاأحبها وليس من العدل عندما أجد نفسى أحب بالفعل أن أهرب وأحرم نفسى من شيىء كنت أرجو حدوثه والحب أختار الوقت لم أختاره أنا ولا أنتِ ياأحلام لن أهرب منك ولن أتخلى عن هذا الحب لأي سبب كان لست متهوراً لاًهدد بيتى بأمر يخصنى ولكنى لن أكون جباناً أو قاسياً لأحرم نفسى مما كنت أتمناه أنا أحبك وهذا ما أنا متأكد منه تماما

فهل تحبيننى أنتِ ؟

تبتسم أحلام وتتحرك شفتيها ببراءة ويضوى بريقا لامعا في عينها ولاترد وتكشف عن ابتسامة وتتلألأ الفرحة والقبول علي وجهها فيبتسم جمال وهو يتأمل وجهها

أحلام : أحبك ولن أنكرها أو أخفيها ولكنى خائفة لأنك متزوج وهذا كل ما في الأمر

تمتزج ضحكاتهم كأنها قطرات ندى تتساقط في علي صفحة نهر جار تحيطه الأحجار الملساء تحت أشعة الشمس تعكس صلابة ورسوخ وقوة شاهدة علي كل العهود تضم في حنو وحرص متصدرة توفير كل الحماية لكل قطرة ندى امتزجت بمياه النهر .

ظلت في النافذة المفتوحة حتي ساعات متأخرة من الليل تحرس سعادتها وتبوح للسماء بفرحتها

تود لو تشاركها نجوم السماء وكل زهور الكون وفراشاته

ولسان حلها يقول أنه علينا ألا نخيب أمل السعادة فينا بسوء إستقبالها أو إساءة الظن في رحيلها الفورى وبقائها المؤقت غالبا فلتلتمس منا لحظات السعادة العذر فهي طالما احتفيت بها وهيئت نفسها لقدومها ولم تأتي وتحاول أحلام إزاح خاطر عابر وتحتفي بالفرحة القادمة إليها بتوقيع القلب تلتمس بقائها تتوسلها ألا تتردد في المجىء ولا تطيل الغياب!

تتنّهد أحلام بعد غفوة بأحضان الفرحة تتطالع السماء متسائلة هل شاءت الأقدار أن يطمئن هذا الفؤاد ؟ وأصبو الي ما أحلم به وأحققه أم أنني بصدد لحظات خاطفة من السعادة واهبط الي أرضى مجدداً أحلم ثانية وأتحين الوقت ليكون لي ما أريد وأتمنى؟..تتسلل أحلام الي الداخل بعدما أحكمت غلق الشباك وتقصد غرفتها و تتمدد علي سريرها بهدوء وتذهب الي الأحلام بعيدا وتتصاعد أنفاسها كعطر يفوح من زجاجة لم يغلق غطائها تتصاعد أنفاسها ويعلو صدرها ويهبط كأنها تتنهد وهي تضحك وغطت في نوم عميق ولف المكان من حولها نسائم الرضى والطمأنينة وأخيرا نامت على فرحة غامرة ملئت روحها وقلبها

في الصباح بدت أحلام وكأنها خلعت من عمرها نصفه تبدو رشيقة وكأنما تقفز بخفة كالفراشة وهي تمشي ,بشرتها نضرة وعيونها لامعة , ترفرف خصلتان حول وجهها وتلامس باقي شعرها

على كتفيها ,وتهرول بإتجاه غرفة كريم تنادى عليه ثلاثاً كعادتها وهى علي بعد خطوات لتلتفت متجهة إلي المطبخ تعد الفطار بسرعة وعينها علي ساعة الحائط بمنتصف الجدار المواجه للمطبخ لتميل برأسها من خلف الستارة وتلمح الساعة السادسة والنصف فترتبك وتشرع من تجهيز الإفطار وتنادى علي كريم مجددا الذي يتراءي صوته لها من ناحية غرفته تحمل صنية الإفطار وتتوجه الي الصالة بينما كريم خارجا من غرفته يدفع بقايا كسله

كريم : صباح الخير

أحلام : صباح النور

بسرعة . سنتأخر

كريم :لاتقلقى !..

ويتوجه كريم الي الحمام ليغسل وجهه ويديه ويلحق بها وهو يجفف يديه جيدا ويلتقط شندوتش ويحاول أن يغادر السفرة ولكنها تمنعه فيجلس مجددا وهو يبتسم لما بدت عليه من حال أفضل و تتناول فطورها بشهية ينظر لها مبتسما في حنو يغريه بأن يلقتط أخر ويقضم منه بنهم هو الأخر فتنتبه أحلام له فتبتسم وهى تربت علي كتفه بحب وحنان

أحلام : لديك دورس اليوم بعد المدرسة مباشرة

كريم : أثنين واحدا تلو الأخر

أحلام : مشغول إذن!.. وسوف تعود الي البيت متأخرا!

كريم : نعم..لكن لّما ؟!..ستخرجين ؟

أحلام : لاأدرى ولكن..سأتصل بك وأخبرك

وفور إنتهائه من فطوره يحمل حقيبته يعلقها بكتفه ويتجه ناحية الباب وهو يودع أمه أما أحلام فتحمل الصنية لتدخلها إلي المطبخ

رولا تتحدث الي عزيز في أخر الردهة بينما أحلام تظهر من بعيد ما إن تلمحهم فترجع من حيث أتت وتتوجه الي مكتبها ثانية وهي مرتبكة حائرة وتغلق خلفها الباب وتجلس ثانية وهي لاتدرى ماذا تفعل أتظل محبوسة في غرفة مكتبها ولاتذهب للكافيه في موعدها المعتاد لتطلب مشروباً أو تتناول شيء خفيف قطع عليها خواطرها وحيرتها عزيز الذي دخل الغرفة وأوصد الباب خلفه وهي كما واقفة في مكانها تأملها بعتاب وإعجاب وهى تهرب من عينيه ومأأن استجمعت شجاعتها قالت في إستنكار ممزوج باللطف المصطنع

أحلام : أهلا مسيو عزيز!

كيف حالك؟

عزيز: لماذا تهربتى ليلى أمس من اللقاء المتفق عليه

أحلام :متفق عليه!..

عزيز وهو يقترب منخت وعينه ملئية بالعتاب

-لماذا تتهربين منى ياأحلام هكذا؟!

ويتأملها بإشتهاء ورغبة وهى تتحاشى الإلتفات ناحيته فترد وهي تنظر أمامها بثبات وهدوء

-ولماذا سأتهرب منك ؟!..هل صدر منك شيء يدفعنى للهرب منك؟!

يتنهد عزيز ولايرد ثم مردفا وبآسى

عزيز : ليليان دائما ما يروق لها أن تظهرنى لكل امرأة في محيطى بأنى زير نساء

تلتقت أحلام التصريح بدهشة وإستنكار تخفيه نظرتهاوتتظاهر بالعبث في الكتب والأوراق أمامها علي المكتب ولاترد

عزيز بإلحاح والتماس وتأثر

-لاتصدقى إلا ماترينه مني هي دائما ما تصنع الحواجز

بينى وبين الأخريات بسبب غيرتها

أحلام تنصت ولاترد عزيز يقدّر صمتها ويتفهمه جيدا ولكنه ينتظر منها أن تقول ثمة ما يهدأ من هواجسه وحيرته التي تتضاعف بعينه وهي يترقب ردا وحديثا من أحلام ولكنها تظل صامتة فيطئطئ رأسه بتأثر وبنفاد صبر ويخرج في هدوء و تراقبه أحلام بعينها وهى تتنهد الصعداء وتجلس في مكانها ثانية و تسترجع ما قاله تنظر في إتجاه خروجه بشيء من الحيرة المؤقتة وكأنه قد أستوقفها شيئاً مما قال ولكنها تشكك فيه وتقصيه جانبا تتجنب الإقتراب من ليليان وزوجها وعدم البوح بما لديها حتي لاتخسرهما ولكنها أحيانا ينتباها شك في ليليان وعزيز وعلاقتهما بهما خاصة وأن ليليان سبق وحملتها المسؤلية عن تودد عزيز اليها وتستغرب لنظرات اللوعة والعتاب بعينا عزيز ! ربما ليليان الوحيدة التى تدرك طبيعة المكانة التى تحتلها أحلام من عزيز أم أنها تعتبرها امرأة أعجب بها زوجها مثل كل رجل قد يعجب بامرأة غير زوجته ؟! مسألة شائكة جعلتها ليليان منطقة خطرة وأعلنت الحرب علي كل من تقترب أو ترحب بتودد زوجها اليها لتنزل بها العقوبة وكانت أحلام ممن استهدفت من قبل ليليان بسبب عزيز في حين لّما أعفت عزيز من أي لوم علي أقرب تقدير!..تنهدت أحلام الصعداء ولكنها لم تخرج من مكتبها أيضا ربما حتى لاتتلبس في مجال يمطرها عزيز بالنظرات علي مرأي من

ليليان ففضلت البقاء في مكتبها تقلب في أوراق ملف ضخم علي سطح مكتبها في حين تظهر ليليان ومسيو ميتران يهبطان من على السلم المؤدى لردهة المكاتب وهما يتجاذبان أطراف الحديث في جدية وتفهم بلغة فرنسية شيقة ومتناغمة تلتقط أحلام متن الحديث وهي تفتح الباب فتتفاجىء بهما ويرونها فيبتسمان لها بود ويستمران بالسير للأمام ومن خلفهم أحلام التي تنظر عليهم بغبضة وتسرع من خطواتها وبينما هما يتوجهان يمينا الي المكتب الخاص بمسيو ميتران تتنحى أحلام يسارا الي الكافيه

تجلس في مكانها بجوار النافذة المطلة علي الحديقة من الداخل ويتقدم الجرسون ويضع أمامها قطعة من الكيك وكوب نسكافيه وكوب ماء تقرب النسكافيه وترشف منه وعينها مليئة بالخواطر والأفكار وتتحاشى الإلتفات حولها خشية أن ترى عزيز ثانية ولكن هذه المرة تلمح رولا تتقدم من بعيد ويتهلل وجهها كأنها كانت تبحث عنها فتبتسم أحلام وكانت تود لو لاتشاركها هذا الوقت من أوقات الراحة بين ساعات العمل حيث إنها لاتهدأ ولاتكل من الحديث عن ما يشغلها تتردد أحلام بين الإستعداد لدعوتها للجلوس معها أو أخذ وجبتها والتوجه الي مكتبها علي غير عادتها فتظل مكانه وتظل صامتة للحظة تفهم رولا التي جذبت كرسياً وجلست قبالاتها حول الترابيزة وقامت بالنداء علي الجرسون فأنتهزتها فرصة صب جل إنبتاهها الي المشروب وتناول الكيك ولم يتحدثا سوياً مكتفين بتبادل الإبتسامات ومن حولها تصدح موسيقا فرنسية ناعمة في المكان فرأت أن تستمع بالموسيقى ومنظر الشجيرات والزهور من نافذة الحديقة وهى تتناول وجبتهاو تجنبت رولا الدخول معها في حديث حتي أنها راحت تسترجع ما قالاه هى وجمال أمس فتبتسم

عيادة جمال في المساء ،وأحلام تفتح باب غرفة الكشف بهدوء وتقول بنبرة دافئة

– مساء الخير يادكتور

يتهلل وجه جمال ويقوم من مكانه علي الفور متجهاً ناحيتها

جمال : مساء النور ..

أحلام : في كل مرة أكون هنا أنسي ؟ عندي سؤال

فيرفع حاجبيه عاليا ويفتح عينيه التي تفيضا بالحب

ويهز رأسه منتظرا السؤال

–طبيب الأسنان .. فيقهقه قبل أن تسأل وكأنه يتوقع ما ستقوله

بدهشة من ضحكته وتبتسم وهي تتأمله بحب مردفة

أحلام : كيف يتصرف طبيب الأسنان إن داهمته متاعب وآلام الأسنان ؟!.

جمال مقهقا ولا يرد ومازال يتأملها في وجد

أحلام ترتبك من نظراته ومن مكانه يرد بينما هي تقترب و تسير بإتجاهه خطوات

جمال :أذهب الي طبيب أسنان

ويضحكان

– لى زميل أثق في مهاراته وإن لم يلزم الأمر يمكن أن أتعامل فعلى حسب الألم

أستطيع بخبراتي تحديد الحالة .. هل تعلمين أن الآلم النفسى قد يسبب آلام بالأسنان

أحلام تنصت بإهتمام

–فى حالات الحزن الشديد تتأثر الأسنان بشدة لأن المناعة وقت الحزن والألم النفسى تضعف بشكل ملحوظ ومن هنا تبدأ كل عوارض مواطن الضعف والهشاشة في الجسم في الظهور

والكشف عن عجزها المقاومة بمفردها وخط الدفاع عنها معتل

بإعجاب وتردد

أحلام:معتل! ..وصفك دقيقا جدا ياجمال

يلتقط جمال اسمه منها علي شغاف القلب فيبلع ريقه بنشوة ويغمض عينه بوله مستشعرا بثقة قرب بينها وبينه فور تلفظها باسمه

مقاطعا وكأنه يلتمس أن تقطع علي نفسها عهدا

–المحبين لاتؤلمهم أسنانهم ؟!

فتبتسم أحلام ابتسامة عريضة

–علي المحبين التمسك بمشاعرهم دافئة قوية ومتجددة لسلامة قلوبهم قبل أسنانهم

والأن طمنينى علي أسنانك ؟

أحلام:الحمدلله أحسن كثيرا .

وتستشعر أحلام أنه قد مر وقت وبالخارج مرضي فترى أن تستأذن لتمشي

بتلك الأثناء تجلس السكرتيرة تحصى أسماء الحضور وتظهر من بينهم داليا الصديقة المقربة لنهي زوجة جمال والتي تتظاهر أنها تعاني من آلام أسنانها فتقشعر جبهتها وتعض علي شفتيها بضيق وإمتعاض وتغلق عينها مرارا وهى تراقب السكرتيرة التي تراجع قائمة أسماء الحالات في أثناء ذلك تخرج أحلام من غرفة الكشف وتقع عيون داليا عليها فتنظر عليها بترقب كأنما تشبه عليها وعلي الفور تقوم من مكانها وتتجه فورا الي مكتب السكرتيرة وتقوم

بمراجعة القائمة بلا جدوى وتهز رأسهما كمن يحاول تذكر شيئا فتتوجه الي السكرتيرة لتسألها ثم تتراجع خشية أن تنتبه لشيء فتسألها في عفوية مصطنعة

داليا :كم أسماً قبلي؟

فتنظر لها السكرتيرة بدهشة وبإعتيادية

–عدد كبير !

داليا: وأنا رقم كام؟

السكرتيرة : رقم 24 والحالة رقم 9

كانت بالداخل ومنتظرة الدكتور يرن الجرس لإدخال رقم 10

–باقى علي دورك 13 حالة وأنتِ رقم 24!

فتنكفىء داليا علي الفور لتقرأ أسم الحالة رقم 9 هنا تتذكر من تكون

التي كانت بالداخل فتبتسم في إرتياب وتسأل السكرتيرة

داليا :الحالة التى كانت لدى الدكتور كشف وألا خلع ؟!..حشو

السكرتيرة :متابعة

وتتأملها السكرتيرة بضيق ونفاد صبر فتتوقف داليا عن الحديث وتجلس

صامتة في مكانها مجددا!

يقطع همس الأصوات في غرفة الإنتظار صوت جرس قادم من غرفة الكشف فتنادي علي

الفور السكرتيرة على الحالة رقم 10 بالأسم بينما وجدتها داليا فرصة للانصراف

في جانب من الصالة تقف نهي منتصبة في مكانها تحملق بعينها تنصت مشدوهة وهى تتحدث في التلفون تتلقي ما يتلي على مسامعها والتعجب والغيظ يسيطران علي نظرات عيونها ويحتقن وجهها غضبا وهي تنصت لما تسمع

نهي : أحلام!! هو الأسم !

وهي تنصت بنفاد صبر وحنق شديد

-أحلام ولي الدين؟

تحاول أن تتمالك نفسها من فرط الغضب

مازالت تنصت وكلما أتى جديد من الكلام تثور أكثر

ودت لو لم تسمع كل ماسمعت تلمع الدموع بعيونها وفور إنتهاء المكالمة تلقي بالتلفون علي الكنبة ثم بنفسها بجواره وتنكفىء علي ركبيتها وهى تزفر بضيق وغضب وترجع ظهرها للخلف

داليا تمسك التلفون شادرة مهمومة يتأملها وليد بلوم ليقطع شروردها

وليد : هذا خطأ ..أنتِ تضريها بهذا الشكل فإن كنتى تهتمين لأمرها

لأخفيتي عنها ما عرفتيه ياداليا ..هل هى سعيدة الأن وفخورة بك

وهي تدافع عن نفسها مستشعرة كم الألم الذى تشعر به نهي

داليا : هو من عليه أن يشعر بالخزى لأنه يخون زوجته

ويعرف عليها أخرى كانت زميلة لها في المدرسة ؟!

وليد للتأكيد علي ما سمع فقط

زميلة في المدرسة ؟!

داليامردفة

–الدكتور ضاقت به الدنيا لم يجد إلا واحدة كانت معنا في المدرسة

وليد : وليكن لم يجدر بك أن تخبريها

داليا :لّما ؟! ..كانت نهي مثل المجنونة

وليد مستنكرا ويسأل

–والآن؟!

داليا وهي تلتمس لنفسها العذر

–على الأقل عرفت وتأكدت

ويقاطعها قائلا

–حضرتك أكدتى لها وبالمعلومات الوافية ؟!

داليامتسائلة في دهشة

–وليد؟

في حزم

–افندم؟! أنت بهذا الشكل تهدمين بيت صديقتك

-أنا؟!

وهو يحاول أن يختصر لها الكثير من القول فيقول لها مباشرة متسائلا وهو موقن بالرد

وليد : هل هو حدث بينهم شيىء عمل علاقة جنسية معها ؟!

أم لم تتأكدين بعد؟!

داليا :لم يصل الأمر لهذا الدرجة؟!

وليد بلوم

-كيف عرفتى؟

دالياعلي استحياء وهي موقنة

-زوجته هي من قالت ..ثم أن أخلاق جمال الكل يعلمها جيدا

فأنت تعرف جمال جيدا لا يفعلها هو مهذب ومحترم

وليد ينظر لها بلوم معاتباً

-عظيم

دالياوبإستدراك

-ولكنه يعرفها علي زوجته

-يعرفها ؟!

بإستنكار وإتهام

-يحبها ويعرفها علي نهى!

–الرجل برىء من الخيانة لما تقمين الدنيا ولاتقعديها أنتِ وصديقتك

دالياوهي مستغربة من لهجته في الحديث عن نهي !

–وليد! ..صديقتي؟!

وليد : السيدة نهي

داليا بعتاب وتأثر متسائلة

–ما بك ياوليد؟! أنت تلومني أنا؟

كان أولى به أن يخلص لزوجته

وليد بنبرة هادئة

–وماذا فعل الرجل؟

–يعرف أخرى..يحب أخرى على زوجته

–وهل هذه خيانة؟!

ينزل تساؤله علي مسامعها كالصدمة

دالياباإستنكار وغضب

–طبعا خيانة ..أنه يخونها

وليدوبنفس نبرة الصوت الهادىء والتأكيد

–الحب ليس خيانة

داليا : خيانة.. خيانة

وليد :الحب ليس خيانة

رده يصيبها بالصدمة فتهتز في وقفتها وتبتلع ريقها بغصة شديدة

وهي تتأمله بلوم وذهول بينما هو ثابت علي رأيه.

داليا وبإستنكار

–وليد! ..أرجوك لاأريد أن أكمل الحديث في ذلك الموضوع

وليدوقد لمح صدي رأيه في عينها فاشفق عليها !

–كما تشائين ولكن هل يعجبك ما وصلت له حالة نهي بما أخبرتيها ؟!
أرجوك ياوليد

بنبرة حازمة وبضيق وهي تتهرب بعينها من وليد لقد صدمها رأيه في وضع جمال علي ما يبدو

داليا :زوجها الخاين . وهو من أوصلها لما هي فيه

فينظر لها ولايريد تكرار ما لمس أنه قلب الموازين بداخلها فيصمت ويؤثر السلامة ولكن داليا مازال رأيه يولد الغضب والحيرة والتساؤلات في عينها وملامح وجهها فتهز رأسها بضيق وتوتر وتتجه الى الداخل مذعورة تجر قدميها وعلى مايبدو تود أن معها يكون رأسها!

في المساء بقلب الليل تلتفت نهي علي جمال النائم بجوارها وهي تتحاشى الحركة أوالنظر ناحيته تنصت لأنفاسه تستشعر وجوده بجوارها ثابتة بمكانها تتلبسها حالة رفض ونفور كبيرين

وتحاول التتظاهر بالنوم دونما جدوى وجمال هو الأخر مستيقظ متظاهراً بالنوم مستشعرا لكل هنّاتها يتراءى طيف أحلام أمام عينيه فيبتسم ويتنهد مستشعرا الطمأنينة والسلام! !..

تقتحم داليا حزن نهي وإنكسارها المطبق علي نفسها وتباعد لحظات الآسى التى تشعر بها وتقول بنبرة حاقدة

داليا :تقريبا احضرتك لك كل شيىء عنها ؟!

نهي بصوت مختنق بالبكاء

–ما فيها جعله يحبها وأنا لا

في نفس عمرى واسمع أن الرجال يقعون في حب الأصغر!..

داليا :أنها أرملة ولديها ولد شاب !..

نهي : هل لأنها تعمل ؟!.. ولكنه هو من رفض أن أعمل وقال أنه لايحب أن يعود من عمله يوما ولا يجدنى هو أو أولادنا فيما بعد رغم أننى ألححت كثيرا مسألة العمل لكنه رفض وقال عندما أقصر في طلب لك أخرجى للعمل مرارا ذكرته أنى أريد أن أعمل لأنى أحب أن أعمل واستشعر قيمتى والمس ما أضيفه في مكان عملي قال إن نجاحك في تربية أبنائنا هو الإضافة الأسمى لكل ما حولك

ولكنني لست سيدة منزل عادية أنا رشيقة وأنظم وقتي جيدا بين الذهاب للجيم وتربية الأولاد والاهتمام بالبيت وبه ولاياتى يجدنى مهملة فى مظهرى انا اهتم به

ماذا كان يتوجب عليّ فعله وتراخيت فيه

تتأملها داليا بنظرات شفقة وآسى وتخصه بنظرات الزجز كلما اتت داليا علي اسمه في حديثها

داليامشفقة علي نهي وبنفس نبرة صوت نهي وهي متأثرة لحالتها

داليا : وإن كنتِ ملاك قد يغرم بشيطان

نهي تصمت لبرهة ثم تستأنف حديثها وهي تكتم غضباً عارماً

نهي :لماذا احبها؟ هل لو كان تزوجها هي كان سيحبها أيضا

أم كان سيحب أخرى قد تكون أنا مثلا في حالة تبادلنا الأدوار

هل سأكون حينها سعيدة إن أحبنى أنا ما الفرق بين شعوري تجاه رجل

تزوجنى بلا حب وبين رجل متزوج ويحبنى أنا!

صارخة

ثم تهدأ

–لم أعرف هذا الشعور!

أن يحبنى رجل ويكون بجوار امرأة عابسا رغم أنه من لحظات

كان يهوى فوقها يطفىء شهوته فيها ثم يركن بجوارها يستطلع حضور من يحب

تتلقف داليا كلامها بضيق لحالها وتتأفف بشدة وتهز رأسها زجرا وسخطا

نهي مردفة

–هل وقتها سأكون أنا سعيدة بحبه وتكون زوجته شعورها ماذا وقتها

لما أنا غير سعيدة وهو معي أنا ..هل لأنه يحب الأخرى

أنا أقول أنى أنا الأخرى ويحبنى هل كنت حينها سعيدة أم حزينة

واستشعر بالمرارة كما وضعى الآن

هل أخطات عندما تزوجت رجل علي غير حب ولم يطرأ في ذهنى

أنه قد يحب في أي وقت فيما بعد

داليابزجر

–ماذا تقولين؟

هل تعطينه أنت الأخرى الحق؟

تلتفت اليها نهي مستغربة من حديثها الذي انطلق منها ليجىء

متأثراً رأى وليد زوجها في أمر جمال وحبه

تتراجع داليا وتتهرب بنظرها عن وجه نهي الذى يتفحصها بفضول تتنظر الرد

نهي : حق ماذا؟!

وأنا الأخرى؟..من الأول أو الأولى إذن؟

صفاء وهى ثارة متأثرة تظن هذا

فتدافع داليا وتجدها فرصة للهرب من التصريح بالأخر الذى له نفس الرآى بصدد مسآلة حب جمال هذه

داليا :لا..ليست صفاء

نهي :من؟! البعض يرى هذا ياداليا

نهي : يرى ماذا؟

بضيق بالغ دفع نهي لتنعم بالمعاضدة والمساندة وهيئها لتسمع بلاغضاضة

داليابحنق

–البعض ياسيدتى يرون إن حب الرجل ليس بخيانة

طالما لم يقم علاقة بالأخرى؟!..

نهي بمقت وضيق كبير

–حقراء .. كلهم حقراء

داليا بيقين وتأكيدوحزم

–وأوغاد .. كلهم أوغاد

نهي : لما أحبها هي ؟!..لماذا لم يحبنى

هل الرجل يجد مشقة في حب زوجته أو لايروق له الأمر إلا مع أخرى

هل لايتقبل الحب منها هى هل لايشبع شغفه ويكفى غروروه فلا يرحب به

منها ولايكفيه مهما إمتلكت من مزايا ويفتش عنه بعيدا

لماذا ؟!..

لو أحبنى لأدرى حقيقة ماهو شعوري وقتها ولكنى غالبا كنت سأكون أسعد امرأة

في الكون أن نحيا أنا وزوجى في علاقة حب

وباكية

-أحبها هي..كان يحتاج الحب ؟!

داليا تستشعر الألم الكبير بداخل نهي

داليا : لما سمحت له وهي بلاشك تعلم أنه رجل متزوج

نهي بغضب وحزم

:لأنها رخيصة

داليا :وتبحث عن زوج هو يبحث عن الحب وهى تبحث عن الزوج

نهي وأنا تشتعل النار في قلبى وأغرق في العذاب والحزن والألم؟!

وتبكى نهي بمرارة

داليا : يجب أن تلقينها درسا قبل أن تبتعد عن زوجك

نهي مشدوهة ومن بين دموعها تنظر لداليا بترقب

داليا : أنتِ قولتى أنها رخيصة

وإلا لّما اقتربت وقبلت أن تسطو على حياة أسرة مستقرة وآمنة

بغيظ

نهي : وهو؟..

داليا : أنتِ قولتى كان يبحث عن الحب

وتقاطعها نهي في ثورة وغضبت

نهي : وهو أيضا رخيص وحقير وجبان

ألم يدرك أن لديه أسرة بها زوجة وبنتين

داليا :هو كما قولتي

وفي حزم يشوبه تساؤل

–أنتِ تريدينه؟

وتتأمل وجهها متسائلة تنتظر الرد

فتبتلع نهي ريقها وتتعلق عينها بعينا داليا التي عرفت من نظرة نهي الجواب

فتهز رأسها وتستقر لدي خاطر طرأ توا عليها وعينها ملئية بالحنق والضيق وتطل من عينها نظرة من يسترجع ثمة ما يصبه الهم والضيق

تهرول بإتجاههم لاهثة بينما هما الاثنتين تهمان بالإنصراف عن ردهة الجيم في أول المبنى المؤدى لصالة التمارين

تتقدم منهم صفاء وهي تتأمل وجهي داليا ونهى بقلق بالغ وتقترب منهم وهي تتوقع ثمة أمرا ما

صفاء : كيف حالكم يابنات؟

تشيح نهي بوجهها بعيدا وترد بتململ

بينما داليا ترد بإقتضاب متأثرة علي ما يتدافع علي خواطرها وتنظر أمامها بوجوم

تتأملهم صفاء التي تستشف إنتهائهم من التمارين قائلة وهي ترجو بقائهم

بنبرة اعتذار

صفاء :أنا أسفة .. تأخرت عليكم وواضح إنكم قمتم بالتمارين

تقاطعها بهدوء

داليا : الحقى تمارينك حتى لاتتأخرين..

صفاء تنظر لنهى بقلق وتضع يدها علي منتصف ذراعها تستطلع الأمر

بينما نهي تنظر لها بود من بين شجونها

صفاء : مالك يانهي؟

داليا : أمرك عجيب بتغيبي إسبوع وترجعي تسألى مالكم؟

وتنظر لنهي وهى تقول

–أسئلتها تستفزنى

صفاء في عتاب وتودد مستشعرة التقصير

صفاء :واضح إنى مقصرة معاكم

صفاء تنظر لنهي وداليا وهي حائرة تلتمس العذر بعينها الملئية بالإعتذار وهى بغاية التأثر

وتقف نهي التي تندفع وهي تهم بالإنصراف بإصرار

صفاء : أنا أسفة ياحبيبتى .. حقيقة أنا مقصرة في حقك

اندفع جمال في طريق سعادته لايبالى شيء لم يوقفه أو يثنيه احساسه بإن نهي قد عرفت بأمر حبه فما يكتنفه من ألم في بعده عن أحلام جعله يمضى الي ما يريح هذا القلب ويهدىء النفس ويبهج روحه ولم يخب ظنه فها هي السعادة تفتح لها أبوابها كان كل لقاء مع أحلام يدفعه نحو السماء يجده نفسه محلقا في السماء سعيدا فرحا سعادة غريبة لم يختبرها منذ كان صبيا في أواخر الصبا وأول الشباب عندما أحب لأول مرة يفيض قلبه بالحب والهيام يعمل بنفس مقبلة وأريحية كبيرة الأبتسامة لاتفارق وقته مستريح حتي بأشد أوقات ضغط العمل باله طويل كما عادته وأكثر مقبلا علي الحياة يحنو علي طفلتيه ويداعبهما ويسكن وخزات ضميره بأن يضاجع نهي أكثر مما مضى تهدأ وتحتار في أمر حبه ولايعبأ بكونها قد عرفت بالفعل غدت أيام جمال صافية كنهر يتدفق بالماءالعذب يقضى أسعد أوقاته مع أحلام التي كادت تطير من الفرح لاتصدق نفسها ان العمر لن يمر حتى يخصها بما تمنت وبان تمد يدها لتقطف أمنياتها المتدلية فوق رأسها كل الأمنيات بدت قريبة ومتاحة هاهو الحب يملاء قلبها وروحها والسعادة ترفرف من حولها لم تعد تخاف من مرور العمر إذن وهل تحقق ما تصبو اليه هل تتصالح مع الحب وتقطف ثماره وتفوح حياتها بعطر أملها المحقق أحلام هي الأخرى تحيا أزهي فصول العمر فصل الحب تستشعر إن جمال أنما خلق لها وهو يري أن لقائهما تأخر كثير ولكن خيرا حدث إن أتى اخيرا إن سعادتهما باتت تسير من حولهم تحاوطهم بعناية وإحتفاء مايكد يمر يوما حتي يخلفه جديد والسعادة تكبر وتفسح مكانها في قلبيهما وتغدق من رياحنها في نفوسهم لاتكاد أحلام تصدق أنه قد حدث ما أرات أن حبها يكبر ويزهو وإنها اخيرا تحب رجلا حقيقيا رجل يبادلها الحب بحب رجلا مثل جمال أهلا للحب تكرر لقاء أحلام بحبيبها غدت حياتها

واحة غناء مثمرة أوراقها وارفة تفوح سرور وحب كانت حياتهم أقرب الي لوحة كل ما فيها في موضعه تسير في إتجاهها الصحيح والمنوط بها فثمة أشخاص ولدا وحظوظهم في الحب وافرة إنهم بحق أهل للحب تدفق الأمل من جديد في شريان حياة جمال وأحلام لقد أعادها الحب الي فتاة ابنة الثامنة عشر تتأنق في فستانين مزركشة ووجنات بحمرة الكرز وشفاه لامعة ممتلئة وعيون تضوى بالبريق والشباب إنها فتاة صغيرة شابة وجميلة ومشرقة تتدفق اليها الحيوية والشباب ماذا يفعل الحب بأهله إنه يبعثهم أرواحهم ونفوسهم و قلوبهم من جديد للحب قوة سحرية تجعل الشخص كالمحموم لايهدأ إلا ولايريد أن يشفى يريد أن يظل في حالة حب فقط يشفيه المزيد من الحب ظل الحب يكبر ويتفتح ويتمدد داخل قلوبهم الي إن غدا نجما متوهج في نفوسهم وأرواحهم طابت حياتهم بالحب وسكنت أوجاعهم القديمة ولاحت آمنياتهم المتخفية في ثنايا نفوسهم حان وقت أن يحيا الاثنان في ظل الحلم في عمريهما الحب يغدو وليداً داخل سياج منيع حسبما أحدثه في نفوس الاثنين وما أمدهم به من وعد جديد بحياة أرحب وأجمل وأمتع كان جمال متوجها الي العيادة كعادته من ذلك الموعد يتلهف علي موعده المتفق عليه مع أحلام تمنى لو يدلف الي العيادة فيجدها تنتظره هناك مع أنه من سويعات فقط كان معها فابتسم في نفسه علي استحياء لتمسكه بآمنتيه وخاطره بأن يجدها ما أن يدخل الي هناك وبالفعل دخل وقلبه ملىء بالشوق ولكنه لم يجدها فابتسم ودلف الي غرفة الكشف بينما صدى أصوات الحالات والسكرتيرة تتحدث اليهم في غرفة الإستقبال بالعيادة

أحلام تهبط من سيارتها أمام مطبعة وتدخل اليها مباشرة مسرعة تحيى مسؤل العلاقات العامة والذي من ترحيبه بها يتضح أنه يعرفها فيختفى الي الداخل بينما هي تظل واقفة لا تجلس وتبدو متعجلة متلهفة ويظهر مسؤل الإستعلامات ويشير اليها بالداخل فتبتسم بود فيجلس هو مكانه بينما هى تدخل مباشرة الي حيث قدم هو لحظات وتخرج أحلام وهي تحمل كتابا في يدها وتنصرف مسرعة حتى إنها تنسى أن تسلم علي مسيو حسن تخرج منطلقة من المطبعة وعيون

المسؤل تمتلاء بالثناء والإبتسامة متفهماً ما وراء فرحتها تدخل أحلام السيارة وتنطلق بها وهي تحتض كتابها الي صدرها بيدها اليسرى وتمضى في طريقها

كريم يتوقف في منتصف صالة البيت في الشقة يسير جيئة وذهاب وهو يتكلم بالتلفون

كريم : اخبرتينى أنك لن تتأخري؟!

ويلتفت كريم وهويمضى داخل الشقة

وفجأة صوت مفتاح يدار في كالون الباب تفتح وتظهر أحلام فيلتفت لها كريم

مذهولا ويضحك في دهشة

وهو يمسك التلفون وهي أيضا في نفس اللحظة

أحلام تدخل وتغلق الباب وتخرج من خلفها بطريقة المفاجأة كتابا علي غلافه صورة اللاعب البرازيلى الشهير بيله

فيقفز كريم في مكانه فرحا وهي تضحك وتعانقه بحرارة قائلة

أحلام : وعدتك وأوفيت

كريم : وهكذا أنتِ دايما ياأمى

أحلام بحب وإمتنان

-جهز حالك لنحتفل يابطل

كريم ضاحكا وعلي استحياء

-هذا كثيرا

أحلام :علي من؟!..

فيبتسم كريم في حرج وفي نبرة آمارة

أحلام :جهز نفسك جيداً للإحتفال ياكريم

لقد أنجزت ترجمة هذا الكتاب لأجلك فقط وقد أتفقت أن

أقوم بترجمة احدى قصص حياة اشهر لاعبين كرة الكرة وها قد فعلت

إذن من حقنا الإحتفال فلتجهز نفسك رجاءا

فيعانقها كريم بزهو وحب فتربت علي ظهره بحنان

في صباح اليوم التالي تتوقف سيارة أجرة امام مدرسة كريم بمحازاة الشارع الواقع أمام المدرسة وتهبط من السيارة داليا التي تقترب من البوابة وتتحدث مع الحارس الذي يتقدم بإتجاهها من الداخل وتوجه له بعض الأسئلة السريعة وتود لو تمضى ولكنه يطيل الحديث معها مما يشجعها علي أن تطيل الحديث معه وفجأة يمتقع وجهها هنا قد حضر البواب من جانب في الفناء بالداخل ويلفت نظره ويستوقفه الحديث الدائر بين الحارس ودواليا ويقف علي مقربة منهم حاضرا للحديث دونما أن يحرك ساكنا ولكنه يظل مشدوها كلما أطالت داليا بالحديث الي الحارس الذي يسمعيها بأريحية شديدة وكأنه ينصت لقصة شيقة ولايكاد صوت داليا مع الحديث يكن واضحا بسبب صوت ضوضاء الشارع والسيارات ويطول بهما الحديث الذي يتحلله إمتقاع وجه الحارس ونظرات الزجر الذي يشجع داليا لتروى وتدلى بالجديد بينما البواب ينصت مشدوها في ريبة ودهشة وهو يتأمل وجه داليا ثم أمام إمتقاع وجهها وتأثرها ينظر لها في حياد ولكن تغمره حيرة كبيرة ودهشة لما تقوله داليا للحارس ..ومازال يغطى علي أصواتهما صوت السيارات

والضوضاء في الشارع يرمق الحارس داليا بنظرات دهشة وشفقة وهي تتسير خطوات مبتعدة عن المدرسة وتشير لسيارة آخرى وتصعد بها وتغيب في وسط السيارات في الطريق

لاتدرى نهي إن ما قامت به داليا سيعود بالنفع عليها أم أن فورة غضب وأن أحلام ستمضى في طريقها بعيدا بعدما تسببت في إيذائها وهل سيبعد جمال عنها أم ماذا لقد مر اسبوعين ولم يحدث شيىء الي متي سأنتظر وهو يذداد توهجا وأنا انطفىء وأذبل من الداخل ماذا أفعل في تلك الظروف لم تفلح علي ما يبدور ما أشارت به عليّ داليا وأقدمت عليه تلك اللعينة التي تسربت الي قلب زوجى سأحيل حياتها الي جحيم

وهو يانهي!.. إنه حقير كيف سمح لنفسه أن يحب أخرى طالما تزوجنى فهو ملكي كله ملكي مثل ما أنا ملكه لقد أحببته لّما لم يحبنى كما أحببته لو أستطيع لخلعت قلبه وجلدته ولكنى أريده أريده لي سيعود كما كان وكما قالت ماما فورة وستنطفىء أتعجل انطفائها قبل أن احترق أنا كيف أكاد أجن من فرط التفكير وخيالى لايرحمنى كيف أحطمها وأهزم رهانه علي قلبه فهو لي ولأبنائنا وتنظر بشفقة حيث تسمع صوت لهو طفلتيها في الغرفة المجاورة علي إمتداد بصرها وهي جالسة مكانها وتقول في غيظ لما دفعتنى لإمتلاء بكل هذا الغضب عليك ياجمال أنت تعرفي أنى أعلم ما جرى تضجع معى وأنت تحب غيرى جسدك معي وقلبك هناك أريدك أنت وقلبك ياجمال ستكون لي ولن أتركك لغيرى أبدا إنك قاسى وحقير يا..لاأقوى علي نطقها كيف أناديك حبيبى وقلبي ينزف ألما منك ليتك امرأة لتشعر بما في وبلغت بك القسوة أن تمضى في علاقتك بها وأنت تعلم أنى أعرفك بأمرك لَما سمحت بذلك لماذا لم تكتفى بحبى أنا أحبك أعلم أنك..ولكنى أحبك هل هي تحبك أكثر مني ياوغد جعلتني أقارن حبى لك بحب آخرى لاتقل خسة عنك أنت وغد كبير لأن توصلنى لتلك الدرجة من الحنق والحقد والغضب لاأحتمل أن أراك تتألم وأنت تعلم أنى أتالم لما بخلت عليّا بقلبك لماذا لم تحبنى ؟! ولكنك جرحت قلبى

واشعلت النار في صدرى أنت تنام بجوارى فهل تعلم أنى لاأستطيع النوم لا ليل ولانهار ياحقير!..تقوم لتلحق بيوم جديد يكبر فيه حبك لها وأنا نارى تشتعل وتكبر كيف تعلم بكل هذا في ولاتتوقف ؟!

يسود الصمت لحظات وتنسكب الدموع من عينى نهي وتكتم دموعها وتهتز باكية وهي تضع كفها علي فهما خشية أن تسمع الطفلتان صوتها وهي تبكى بينما أصوات لهوهما يتهادى اليها من مكانها فتبكى بغزارة ومرارة وغصة وتلمع في عينها اثناء ذلك فكرة فتنظر للتلفون وهي تبتلع ريقها وتهم بإجراء مكالمة وعينها تتقلب فيها الغضب والحنق والوعيد ثم تتراجع وتجلس مكانها ثانية والدموع تنسكب من عينها مستشعرة هوانها وانكسارها تطحنها الغيرة والآسى تتلفت بعينها من حوالها تستجدى حلا وبردا علي صدرها المشتعل بالغيرة والغضب والغيظ الكبير

في الصباح في فيلا أنيقة وفخمة الأثاث كأننا انتقلنا بالزمن الي بيت من بيوت أحد أثرياء الأسرة المالكة وتظهر بعد لحظات احدى أميراته وتسير في جلال ورقة معا تقصد غرفة الصالون تفتش بعين قلقة مترقبة وأخيرا تلمح الضيف فترحب بحرارة بالغة بنهي وتقبلها في حنو وتحفظ معا وتربت علي كتفها في حنو وود علي كتف نهي التي تنفجر باكية في حضن عمتها التي تستغرب وتتوقع أمرا فتجلس بجوارها وترفع رأسها بطرف كفها برقة وحزم

العمة : مابك يانهي؟

نهي :جمال

فتتأملها بتساؤل بدون كلام وتتبادلا النظرات نهي تمتلاء عينها بالآسى والحيرة بينما العمة تتأملها بترقب وإستغراب وعينها تقول ألهذا جئتي هل خلاف من زوجك يدفعك للمجيء اليّ هنا هكذا فهمت نهي من نظرات العمة وعلى الفور رأت أن توضح لها سبب مجيئها

تبكى نهي بنحيب ومرارة هنا تتنبىء العمة بأهمية ما دفع نهي أن تأتي اليها فنظرت اليها بترقب وجدية

–لم يكتفى بي وبحبى له طوال تلك السنوات عمر زواجنا

عاش زوجا وقلبه خالى فذهب ليفتش عنه بعيدا ..الي أن وجده

وتنساب الدموع من عينى نهي وقد هدأ نحيبها واستقرت الغصة في نبرات صوتها ونظرات عيونها مما حدا بالعمة أن لتوقع لحجم الألم الذي تشعر به فاستجمعت نفسها قائلة

العمة بتوقع

–صديقتك؟

نهي:لأ..

العمة : من إذن ..ابنة خالتك أم ابنه عمتك؟

فهم أول من يرشحهم الزوج الخائن ليمرر خسته

نهى : تعمل بمركز الترجمة بالمركز الفرنسي ..

العمة وقد التقطت طرف الخيط وفهمت ما تشير اليه ابنة أخيها فتفكر في تلميحها هذا وترجيه الأن ومردفة

–تأكدتى

–نعم

–واجهتيه

-لاولكنه يعلم أنني أعرف

هنا تثور العمة وتقول

-كان الموضوع قد قلب عليها أوجاعها هي الأخرى .. سيعود كلهم يعودون .. متألمين ومجروحين ولكنهم في النهاية يعودن ..هل قلبه المحروج يفرق معاك يعودن بندبة في القلب هل الأمر سيفرق معاكِ ! .. طلما يعود لا يعيننا في شيء أمر الندبة هو وكلهم يعودن بنفس الندبة

نهي تنصت لحديث عمتها التي ينطلق منها في توأدة وعن ثقة ويقين تام تتكلم كمن يستجر من ذاكراته ينطلق الكلام ثقيلاً ولكن مرتباً بمرارة لم تريد أن تسترجعها العمة مطلقا

نهي : حبه لغيرى يعذبنى

ويحزننى أنه لم يحبنى أنا رغم حبى الكبير له

العمة :ليس بيديه ! كما ليس بيدك أن تكفى عن حبك له

رغم جرحه له ومعرفته أنك تتألمين

فتجهش نهي في البكاء

العمة : قولتى أنها تعمل في المركز الفرنسى

هنا بالإسكندرية شارع النبى دانيال .. ماذا تعمل هناك

نهي : مترجمة

العمة : تعرفيها؟

نهي : كانت معى في المدرسة بالمرحلة الثانوية

العمة : يقيم معها علاقة

نهي : لأ

العمة : أنت محظوظة .. لو كان لديك نصف ثقتك بالرد شك

كانت نارك طول العمر تخفو ثم تشتعل من جديد ولكن مع الوقت كل شىء

يهدأ ولايستعصى علي النسيان أى شىء ..مسألة وقت

لتوقفها عن الذهاب للجيم والإمتناع عن الرد على التلفون وجدتا داليا وصفاء أن عليهما أن يقتحما وحدتها ويزيحا حزنها فقصدتا بيتها وتوقفت لدي مدخل البيت داليا لتؤكد علي صفاء بالا تفاتح نهي في علاقتها بزوجها وما شابها مؤخرا من توتر وحزن كبير لنهى علي أثر قصته مع الأخرى فأؤمت صفاء بكل تأكيد والتأثر يملاء عينها على نهى بينما الغيظ والحيرة يملأن عينى داليا وتدخلان مباشرة بإتجاه الباب وهما تعدان كلا علي حدا سيناريو الجلسة مع نهي حرصا علي شعورها وحالتها ..

في الموعد المرتقب لإقامة المباراة بين فريقى كرة القدم بالمدرسة يتقدم الفريقين بمصافحة الفريق ويظهر كريم كلاعب بازر في فريقه وفي الفريق الأخر شادى صديق كريم كما يظهر بين المشجعين هشام صديق كريم هو الأخر ويلتهب حماس المشجعين بقوة كلا لفريقه ويظهر من خلف الطلبة في جانب بعض المدرسين المحبين لكرة القدم كما يوجدعلي الجانب لجنة التحكيم التي تتكون من عدد من المدرسين في المدرسين والذين يقدرون كرة القدم ولدى بعضهم خلفية جيدة عن اللعبة وتبدأ المباراة حامية يتسابق الفريقين بإظهار قدراتهم وموهبتهم وسط كلمات التشجيع من مشجعين الفريقين وكلما سدد فريق رمية أو هدف يهلل بقوة مشجعين الفريق

ويلتهب الأجواء علي والترقب علي الوجوه أي الفريقين سيفوز وسط ترقب وحبس أنفاس وفجأة يفوز فريق كريم فيهلل مشجعين فريقه فرحين وتنتهى المباراة بفوز فريق كريم ولكن جاءت النتيجة مخيبة لأمال الفريق الثانى فصار وجه شادى محتقنا بالغضب والضيق والخجل من مشجعين فريقه ولايكاد يلتفت ناحيتهم وسط كلمات السخط والتوبيخ من بعض المشجعين مما زاد من غضبه وضيقه وينتشر حالة فوضى وهمس بين المشجعين وتظهر النظرات التي تحمل معانى متضادة بين غضب وظفر ولمز وسخط وتوعد في أثناء ذلك يتقدم واحدا من مشجعين فريق شادى ويهمس في اذنه بحديث خاطف وسريع ينظر علي أثره بإتجاه كريم الذي يحمله فريقه مهللين فرحين بالنصر علي فريق شادى وعلي الجهة الأخرى يظهر هشام وهو يتشاجر مع عدد من المشجعين من الفريقين معا بلاجدوى ويلمح كريم تأثر شادى فينزل عن أكتاف حامليه ويصافحه بروح رياضية ولكن شادى يحمل شيئا في نفسه فيقول بنبرة ساخرة وضيق مكتوم

شادى وهو يصافح كريم بينما مشجعى الفريقين يهللان في تعقل ورضى

شادى : مبروك الفوز

كريم : مبروك علينا الأهم لعبنا واستمتعنا بالماتش اتمنى أن نكرره هذا العام مرة ومرات

فيبتسم شادى بود ثم يلمح أحدهم وهو يشير الي كريم بحنق ويهزرأسه لشادى في إشارة الي شيىء يلتقطه شادى بسرعة قائلا بنبرة غامضة

شادى : اتمنى هذا ولو أنني لا أمتلك مثل روحك الرياضية

ويميل عليه قائلا ويهمهم بكلام يحتقن وجه كريم علي أثره بالغضب ويسدد اللكمات لشادى ويسقطه أرضا وينهال عليه بالضرب ويحاول الموجودين التدخل خاصة هشام الذي يجذب كريم

بقوة وهو يعمل علي الحيلولة لتفجر الوضع ولكن يشتبك مشجعيى الفريقين ويتبادلون السباب واللكمات وهم علي وشك الإشتباك مع بعضهم البعض لولا تدخل المدرسين المكونين للجنة فيتدخلون ويوبخون الطلبة ويرفع احدهم كريم مع هشام وأخرين يرفعون شادى من علي الأرض وبالفعل ينجحوا في فضل الإشتباك الحاصل بينما يكاد يقع اشتباك وشيك بين مشجعيى الفريقين ويعلو السباب وتبادل الشتائم بين مشجعى الفريقين ويعلو الصريخ وتظهر مظاهر الفوضى فجأة صوت جرس ومن ميكروفون المدرسة يتحدث أحد العاملين في المدرسة وبنبرة امارة فى حزم وتنديد بان يتوجه على الفور الطلبة من لاعبى الفريقين الى غرفة مكتب مدير المدرسة ومع تكرار النداء يهدأ الصخب تدريجيا وبالفعل ينسحب اللاعبين مطئطئ رؤسهم وهم يسيرون بإتجاه غرفة مكتب المدير ملبين النداء ويتم السيطرة واستعادة الهدوء والنظام بين صفوف مشجعى الفريقين وسط حيرة وحنق وسخط المدرسين المشكلين للجنة التحكيم الذين يظلون في أماكنهم يعقبون في ضيق علي ما جرى بين الطلبة

بعد أقل من نصف الساعة في غرفة مدير المدرسة يظهر الطلبة قادمين باتجاه غرفة تبديل الملابس يظهر عدد من المدرسين من خلفهم ينظرون عليهم بسخط وإستياء بينما الطلبة من اللاعبين يتوجهون مباشرة في صمت بزى اللعب الي غرفة تبديل الملابس ويظهر بينهم كريم وهشام ومن خلفهم من بين زملائه شادى وما أن يدخلوا جيمعهم الي داخل الغرفة المخصصة لتبديل الملابس ويأخذ كلا مكانه ويلتقط ملابسه الخاصة ويستبدل الرياضية بملابسه ولكن كريم الذى يشتعل غضبا مذهولا في قمة غضبه يكتم غضبه وعلي حين بغتة يجذب شادى من عنقه وهو يضيق عليه الخناق والطلبة من حوله من دخل الحمام وأخر منشغل بتبديل الملابس بينما كريم قد انفرد تماما بشادى في جانب وهو ينظر له متوعدا

كريم بحنق وغضب شديد

–بسبب ماتش تسب أمى ياحقير ياكلب

شادى : ماقولته ليس بسبب الماتش

فيلكمه كريم بقوة فيتوجع شادى بشدة

–ما قولته يعرفه الطلبة في المدرسة وأخرهم أنت

فيصفعه بقوة ويجذب هشام بقوة وعنف ويسأله

–ماذا يقال عنى

ثم بغصة قائلا

–عن أمي؟

هشام مرتبكا فيعلم كريم أن ثمة ما تتناقله الألسن بالمدرسة

كريم : ماذا يقولون وهو ينظر لشادى وهشام

ينضم أخر وفي حذر وضيق

–يقولون إن أمك تقيم علاقات مع زملائك وأنت لم تستطع منعها

فيلكمه كريم هو الأخر فيسقط أرضا ويدخل برافان تغير الملابس علي عجالة

بينما الطالب الذى سقط أرضا يقوم من مكانه وهو مطئطئ الرأس مشفقا علي كريم

في حين يتبادل هشام وشادى نظرات الغضب واللوم والسخط ويهرب شادى من نظرات اللوم التى يتأمله بها هشام

يندفع كريم خارجا من الغرفة وقد تمالك أعصابه قليلا فيوجه حديثه مباشرة الي شادى

كريم : كيف لرجل محترم مثل أبيك أن ينجب خراء مثلك

إن فزت أنت لم أكن لانال منك بأى طريقة

كيف سمحت لنفسك أن تتلفظ بما قلت

كل هذا لأنى فزت بهدف أو اثنين؟!.. هل أنت تربيت في بيت أم في ماخور

نادماعلي معرفة واحدا مثلك !..كلكم قليلى التربية أوغادوحقراء كيف تتقبلون أن تنفسوا عن غضبكم بتلك الطريقة الرخيصة ملعونة تلك اللعبة التي جمعتنى بكم وبسبب لاقيت ما لاقيت منكم ..

ينظر الطلبة لبعضهم البعض بحيرة ويبدو أن بعضهم يعلم بما قال شادى والبعض ليس لديه أي فكرة بما جرى ولكنهم يتقبلون ما يقوله كريم إلتماسا منهم لغضبه العارم ومما تسبب فيه شادى والذى أدي لوقوع المشاجرة بينهم بينما شادى يطئطئ رأسه مستشعرا بالحرج والسخط علي نفسه ..

كريم : لن ألعب مبارايات كرة هنا ثانية ليس لتجنب سماع القاذورات

من أوساخ أمثالكم ولكن لأنه لايشرفنى لعب مباريات كرة قدم

مع مومسات في هيئة لاعبين كرة خراء

في حين يؤيد هشام كل ما قاله كريم وهو ينظر بإشمئزاز لكل من حوله

وينطلق خارجا من الغرفة الي الملعب مباشرة في خطوات ثابتة وتعلو بعض الأصوات ما إن يظهر لهم كريم علي أرض الملعب كما يضيق المدرسين ذرعا برؤيته ولكن كريم يتقدم منهم وينظر لهم في إمتنان ويمد يده مصافحا ومعتذرا وهو يهز رأسه بالتحية فيبادله المدرسيون في حيرة التحية وتقبل ما يجرى علي مضض وعلي الفور يلتفت كريم المشجعين من الفريقين قائلا بنبرة واثقة

كريم : أنا أسف لكم جميعا عما حدث يبدو أننا صغار لنتقبل الهزيمة

في مباراة كرة قدم لم يتقبل الفريق الأخر إن يحرز فريقى هدفين فانهالوا

بالسباب والشتائم البذئية علي أمي فهل هذا يرضيكم

يصيح مشجعين الفريقين بالرفض والمساندة والشفقة والتضامن مع كريم الذي

يربت علي صدره ممتناً

–أنا أحب كرة القدم وأمارسها من صغرى كنت أفوز وأخسر وكثيرا ماخسرت

وأنا صغير فكان هذا يحفزنى للتدريب أكثر لأكون أنا الغالب المرة القادمة

يهلل مشجعلا الفريقين تأيدا للسلوك الكروى

كريم : ولكن لم أستهدف الفريق الأخر بالإساءة والتطاول

يهمهم مشجعى الفريقين بتأثر وشجب

–للأسف ما حدث اليوم كان صعبا علي نفسي

هل كان ذنبى أني أحب الكرة وشاركت في المباراة؟

يصيح مشجعى الفريقين مهللين وبين مشجع ومؤيد له وبين متضامن معه

ويتفرق مشجعين الفريقين ليتسابق كلا منهم وهم يتوجهون صوب كريم ويحملوه عدد منهم وهم يصيحون

-كريم—كريم -كريم

الكرة نزاهة شرف روح حلوة

شادى مطئطئى الرأس بينما هشام يتأمل كريم بفخر وزهو ويظهر علي مقربة من الفناء الحارس وهو يراقب عن كثب ما يجرى وهو منزعج ومندهش ممايجرى ويفكر فيما يحدث بينما البواب يهلل ويردد ما يقوله مشجعي الفريقين بحماس وهو ينظر للحارس بزجر ويرمق المدرسون الحشد مشدوهين مما جرى ومازال يجرى تبدو أنها الأولى وينظرون لبعضهم البعض بذهول ونفاد صبر ويرمقون الطلبة بحيرة في أمرهم علي ما يبدو..

تمضى أيام وكريم ينفرد بنفسه ويمتنع عن الذهاب لدروسه مكتفيا بالحضور في المدرسة حتى أنه تهرب ولم يبلغ أحلام سبب الكدمات والخدوش في وجهه رغم إلحاحها المستمر كما وقد أثار دهشتها وقلقها رفضه أن يذهب الي المدرسة معها كما يعتادون وتحاول توقع وتخمين الأسباب بلا فائدة فيساورها القلق ويتفجر بداخلها الخواطر فتفكر في أن تتوجه الي مدرسته لعلها تتوصل لسبب الحالة التي يمر بها ابنها وبالفعل تتوجه الي هناك وتقابل مدير المدرسة وبالسؤال عنه تعرف ما حدث يوم المباراة ولكنها لم تعلم أكثر من ذلك وبالتحديد الأمن البواب الذي نهره الحارس وهدده أن يبلغ إدارة المدرسة عما قام بترويجه بين الطلبة عمداً للأساءة الي أحد طلبة المدرسة بايعاز من إحدى ا لسيدات التي قصدت مبنى المدرسة منذ فترة قريبة وأدعت علي ما

يبدو أنها تريد نقل أبنها الي المدرسة ولكن تخشى علي ابنها من معرفة أحد الطلبة والذي قامت باملاء اسمه ثلاثيا للحارس قائلة ان الطالب المذكور امه سيئة السمعة وتقيم علاقات مشبوهة بزملاء ابنها في المدرسة وهي تخشى علي ابنها مما يحدث فقام الحارس بترويج ما سمعه منها علي انه حقيقة ولأن البواب من أهل المنطقة ويعلم أهالى غالبية الطلبة ويعلم أخلاق الطلبة في المدرسة وخاصة الطالب المذكور فقام بنهره وتهديده بابلاغ إدارة المدرسة التي أقل ما ستقوم به هو فصله وطلب منه أن يقوم بترويج سبب آخر لما أشيع بأن الطلبة لاتحتمل التنافس ويلجأ البعض بإيعاز من الطلبة الفاشلين بالمدرسة بترويج الأكاذيب عن زملائهم كيداً لهم علي تفوقهم وبالفعل سرى هذا بين الطلبة وهذا بفضل نظرة البواب في البشر وهي التي يرجع اليها حكمه علي كل من يتعامل معه في محيط المدرسة تحديدا وحياته عامة حقا نيتك السليمة لاتنجيك من إستهداف الأشرار لم تتخيل أحلام إن طلبة في عمر الزهور يستهدفون بعضهم بالكيد الي هذا الحد ولكن من تلك المرأة التي كنت تريد نقل أبنها وخشيت عليه من أم كريم وسمعتها ؟..ما هذا من تلك المرأة ولما اختارت ابني لتروج عنا هذه الأكاذيب وهذا الحارس البغيض كيف يقوم بإذاء ابنى علي هذا النحو وبتلك الكيفية من هذه المرأة الحقيرة التي قالت عني هذا..يالوعتى ياكريم سمعت عنى هذا وتشاجرت واصيبت وتكتم في نفسك لم أفلت أنا وابني رغم تجنبا للبشر من أزاهم يبدو أنه يجب أن نتقن التعامل معهم وخاصة في المواقف الصعبة فضلا عن الإبتعاد والعزلة إن أذي بعضهم كالهواء يحاوطنا في كل ماكن وتحت أي ظروف..تغرق أحلام في أفكارها متألمة حائرة تغفو من ثقل ما تحمل نفسها وصدرها في مكانها بينما كريم خارجاً من غرفته يرى أمه غافية علي الكنبة فيقترب منها ويوقظها وهو يتأمل وجهها وملامحها المثقلة بالهم والسخط تستفيق أحلام من غفوتها وترى كريم أمامها فتنهض من مكانها وتعانقه بحنو وهي تجهش بالبكاء فيوقن إنها عرفت فيربت علي كتفها بشفقة وتأثير وتتركها

وتهرول الي غرفتها وتغلق الباب عليها بينما هو يتوقف في الصالة مكانه والدموع تترقرق في عينيه بجو مطبق هوائه ثقيل فيزفر بضيق وتأثر..

وهي تتنفس الصعداء في استراحة من تلاحق التمرين تتوقف صفاء وهي تراجع داليا في حديثها و تأتى نهى من بعيد

صفاء : عليها أن تستريح وتهدأ قبل أن تخرب بيتها

زوجها لايخونها ولاشىء

داليا ويكاد يجن جنونها وبإستنكار

-مادام يعرف عليها آخرى فهو يخونها

صفاء يلوم وعتاب

-هو يحبها فقط لم يقم معها علاقة

داليا : مادام يعرف إذن فهو خاين

تقترب نهى فتصمت صفاء ودواليا ويشرعان في الولوج بحديث مغاير علي وجه السرعة فتطمئن نهي وتواصل بعد فترة الراحة باقي التمارين وينضم لها صديقاتها..

طرقة خفيفة علي باب غرفة مكتب أحلام وتفتح الباب بنفسها فتظهر بوجه شاحب وعيون زابلة تجد عزيز والذب يدخل مباشرة الب غرفة المكتب وهو قلقاً ويحدثها في حرص وقلق

عزيز : مساء الخير أحلام

أحلام :مساء النور

وتود لو ينهي حديثه علي وجه السرعة ويذهب ويتجاهل عدم رغبتها الحديث معه

ويتحدث مباشرة

عزيز : هل ليليان عادت لتضايقك؟

فترد بضيق واستياء فحالتها لاتسمح بمحاولاته البائسة في إستمالتها هكذا تفسر مجيبه وحديثه فتصده بفتور وضيق

أحلام : مسيو عزيز رجاءا أهتم بشوؤنك فقط

عزيز: اخبرينى..لن اسمح لها أن تتسبب لك في مكروه

فتزفر أحلام بضيق وتهب واقفة لتنهي الحديث فيخرج عزيز علي الفور غير آبه لمعاملتها له

وتلقى أحلام بنفسها علي كرسيها متململة ترمقه بعيون موهقة ونفس متعبة وتحاول العودة الي مزاولة العمل

عزيز يسير في الردهة ثائرا حائرا لايدرى كيف يتصرف وتتابع علي ذهنه الافكار في حين تأتى رولا في أول الردهة عن اليمين من ناحية مكتب مدير المركز متجهة مباشرة في إتجاه المكاتب وتسير بخطى سريعة رأسا الي مكتب أحلام وتطرق الباب ومن الداخل وبتململ تسمع صوت احلام تأذن بالدخول فتفتح الباب وتدخل مسرعة لتجد أحلام من نظزراتها علي ما يبدور تظنها شخص آخر فتسرها رولا في نفسها ومن نظرتها تتوقع من كانت تظنه أحلام فتخفض عينها بتوتر وتململ فتتفحصها رولا بحيرة قائلة

رولا : أحلام!..

مسيو ميتران بعثنى اليكِ وقد سألنى عن شىء أثار استغرابى

أحلام : ماذا حدث؟

رولا : لّما طلبتى نقلك من هنا؟

تهب أحلام واقفة في زعر

–لم يحدث هذا ..أنا لا أفكر منذ التحقت بالمركز إلا بالبقاء فيه

رولا : اذهبى لميتران إنه يريد أن يتحدث معكِ

أحلام تندفع خارجة من الغرفة وهى مشدوهة تنظر شرزا تمتلاء عينها بالغضب والحيرة والذهول

ورولا تلحق بها متفاجئة مما يحدث

لاتدرى كيف وصلت الي غرفة مكتب مدير المركز الثقافي الفرنسي بالاسكندرية؟! تدخل المكتب كانها تدخله لأول مرة تداخلها الرهبة تجد نفسها وجها لوجه أمام مسيو ميتران لاتنبث ببنت شفة تظل مشدوهة بينما هو يتولى الحديث

مسيو ميتران : تفضلى استريحى ياأستاذة أحلام

تجلس أحلام ونظرها معلق علي وجه ميتران تنصت فقط وتبتلع ريقها بصعوبة

مردفا

–يسعدنى أمر ويؤسفنى آخر

أما الذى أسعدنى فلأن المركز مؤسسة تخضع لقوانين وقواعد لاتفرق بين العاملين بها علي اسس غير النزاهة والكفاءة والإلتزام بظروف ومتطلبات العمل بها

أما الذي يؤسفنى فهو أن يتصل بى أحد المسؤلين ليخبرني بضرورة

نقل واحدة من اكفأ وأفضل المشتغلين بقسم الترجمة في المركز !

تنصت أحلام لّما يقول في هدوء وعينها مليئة بالحيرة والدهشة معا لاتقوى علي الكلام مضت ساعات وأحلام ممددة علي سريرها بملابسها التي خرجت بها بينما كريم جالسا في غرفته يحاول الوصول لغلق أمه الباب علي نفسها كل تلك الساعات فيخرج من الغرفة ويسير قبالة غرفتها لعلها تكون قد استيقظت فيتكلم معها فيجد المكان ساكنا لاحركة تصدر من داخل الغرفة كما وأن الإضاءة مطفئة بها فيمضى قاصدا المطبخ وهو يحدث صوتا وهو يحاول أن يجذب كوبا لعل الجلبة تقلق أحلام فتستيقظ لتضبطه في المطبخ وتمنعه من تجهيز الطعام لنفسه ويدخلا في حديث شيق بين جدان المطبخ !..بلافائدة أتت الجلبة التي أحدثها فيتوقف ويرفع زجاجة مياة صغيرة ويسير بخطي بطيئة وهو يمر من أمام غرفتها يستعلم حركة في الغرفة فلايجد إلا الصمت التام فيتسلل الي غرفته في آسى وحيرة وهو يبتلع علي حيرة الكبيرة كمية من الماء ..

علي صدى موسيقا فرنسية شجية تتردد في المكان يجلس عزيز مع رولا يتجاذبان أطراف الحديث ويتناولان القهوة وتظهر من بعيدا ليليان التي تتقدم من خلفهما وهما مستغرقان بالحديث الودى معا تتقدم ليليان وهى ترمق عزيز بانتشاء وغبطة ثم ترسم ابتسامة محايدة وتتقدم منهم بهدوء وثقة..

عزيز بإستدراك..

-لاأدرى رولا

لماذا لاتتقبل الحديث معي وتفسره علي نحو سيىء

لقد اقلقنى ما تردد بالفعل وتوجهت اليها لأستوضح من شيىء دون أن افصح عما عرفت به وجدتها تصدنى وترفض مجرد الحديث

رولا بحياد متجنبة أن تقول ما يضايق عزيز خاصة فيما بخص أحلام

–قد تكون متعبة أو لاتريد أن تثقل عليك

عزيز : لم تكن تعلم بعد

رولا : بالفعل فهى علمت بعدما ابلغتها بطلب مسيو ميتران لها

تجلس ليليان وتقول مباشرة

ليليان في إستنكار واضح

–يبدو أن أحلام تورطت في غرام رجل متزوج وقد أوعزت

زوجته لقريبة لها تكن زوجة لمسؤل كبير وبعلاقاته أرادوا فصل

أحلام من المركز أو نقلها !!

تنزل الكلمات علي مسامع عزيز كالسياط حتى أنه يتجنب النظر ناحية ليليان وينظر أمامه وهو يكد يبتلع ريقه بغصة وضيق ورولا تتجنب النظر لعزيز تفاديا للحرج

رولا بحنق

رولا : مسكينة أحلام وما ذنبها في الأمر

غبيات هؤلاء الشرقيات وهل فكرت أن تعاقب زوجها

قبل أن تفتش عن أحلام ؟!..

ليليان تنصت بضيق وتململ من نبرة ورلا الحادة أو ربما مسها بعض الحديث

رولا مسترسلة بينما عزيز في واد وليليان في أخر وتلبستهما حالة من الحرج والتخبط

رولا : وهل علمت أحلام بهذا

فتؤمئ ليليان برأسها متظاهرة بالآسى المفرط وهي ترمق عزيز بتشفى

رولا مردفة

-أحلام هذه كتومة بشكل مفرط

لقد أخبرتها عن مارك وعن حبنا ومعارضة اهله وهي من اخبرتنى

كيف اتصرف معهم بحكمة .. حكمة!

وتضحك رولا بسخرية تغلبها الشفقة في آن واحد علي طرح أحلام

الحكمة في بعض الأمور ضرورية وملزمة وأحيانا مهلكة

لّما لم تخبرنى كنت اخبرها كيف تتصرف علي غير الحكمة التي أرجح من خلال معرفتى بطريقة تفكيرها أنها وراء إفساد أغلب أمورها

ليليان : طريقة تفكيرنا تناسبنا كشرقيات

رولا : وتجنى عليكن أيضا

تصمت ليليان وهى ترمق عزيز بلوم

رولا : تقول مباشرة وبعفوية وحزم ليس كل ماهنا سيىء

.. فقط هنا تعانى النساء كثيرا وتنال قليلا

و تشقى وتئن بإستمرار

للدرجة التي تجعلنى أتصور أنها لاتنال أي قدر من الراحة إلا عندما تموت

وكأن رولا تتحدث الي نفسها فعزيز غاق في غيمة من الهموم والصدمة بينما ليليان تتجنب النظر ناحيته وتحتسى قهوتها في صمت وهى شاردة هي الأخرى

فترى رولا إن تنضم اليهم وتحتسى هى الأخرى قهوتها في صمت

وهي تتأمل عيناه في تأثر واستجداء

أحلام :هل حبى لك خطئية؟

أنا امرأة عاطفية كان قلبي ظمأن للحب ما أن لمحتك قاومت حبك كثيرا

لم أفرح في بداية الأمر به لم أسعي لمعرفتك

كنت طبيبى مثل عشرات الحالات التي تقصد عيادتك

كنت احتاج للحب فرحت بأن انفتح قلبي للحب مجددا

لم أكن اتخيل أن يتبدد هذا الحب وتذهب فرحتى واستقرار أسرتى

حتى طار الي مدرسة ابني ومكان عملي

لّما كل هذا هل أرتكتب جرم أني فرحت بحب رجل يحبنى وأحبه

لما كل هذا لّما اهتزت الأرض من تحتى لأنى احببتك

ماذا فعل حبنا بحياته؟ مانوع الضرر أو الأذى الذى وقع؟

جمال يتأملها مستغربا ويقاطعها رغم استرسالها الممتزج بالآسى والدموع

جمال : أولا مالك ياأحلام؟

–اصبحت ترفضين مقابلتى وتتهربين منى !..هل أغضبتك في شىء؟

ولما أنتِ علي غير عادتك تبدين مرهقة زابلة يا أحلام ؟!..كريم بخي

بصوت متهدج يقطر ألما

–كريم!..

– نعم هو ..كيف كريم؟

وتمتلاء بالدموع فجأة عينا أحلام

– سؤالك عن ابنى كالعادة منك يسعدنى ياجمال

وقد قشعت نبرة صوتها الحانية سحب حزنها ولانت عاطفتها فتنساب الدموع من عينها وتلمع وتحمر وجنتيها

–ولكن تتردد فيقاطعها جمال قلقا عليها

– مابكِ ياحبيبتى

هل أنت نادمة علي حبنا ؟!..حبك لي؟!

فتهز رأسها بالنفى فيطمئن متسائلا

جمال : ماذا إذن

وأمام صمتها وشعورها بالآسى والشفقة على نفسها

يتكلم هو

–حبك هو أهم ما جد في حياتى

أنا معكِ في أفضل حالاتي

اعد نفسي رجلا محظوظا بكِ .. كل شيىء بفضل حبنا أصبح له قيمة ومعنى ولون

أحلام : لم أطمح لأكثر من هذا

حب يجعل قلبي يستعيد فرحته وأمله في الدنيا

أنا مثلك حولني الحب الي فراشة مرحة تملاء روحى الفرحة

ونفسى البهجة والسرور والسكينة والأمان .. الأمان ياجمال

أنت كنت تعنى لي معانى كثيرة أحتاجها وأحبها وفي أمس الحاجة لها

أحتاجهم الأمان والحب والفرح

جمال : كنت؟!

بإستدراك وتنسكب الدموع من عينهاالحزينة

–قول لي إذن لّما حدث كل هذا ؟

بقلق ويقاطعها علي الفور متسائلا

جمال : وماذا حدث ياأحلام؟ أخبرينى من فضلك ؟..

تنظر أحلام بعين غارقة في الآسى والحيرة والضياع وقد اختلطت المشاعر

بداخلها بين غضب وصدمة وشفقة علي النفس

في أجواء إحتفالية والزينة والبلونات الملونة تعلو وتهبط في جنبات المكان تقف منة ومي بجوار أمهم حول تورتة بها 8 شمعات تحتفل بعيد ميلادهم تشاركها أمها وصديقتها داليا

وأبنائهم الصغار يرددون مع الأغاني في جو ملي بالسرور والمرح ويتبادلوا الإبتسامات

منة ومي ومن حولهم الأطفال أبناء صديقات نهي وأمامهم التورتة

وتشاركهم الجدة وداليا وصفاء وهم يدندنوا بكلمات أغنية عيد الميلاد التي يصدح نغماتها فى الأرجاء بينما نهي تحضر باقى الحلوى من الداخل

وفجأة يرن جرس الباب بالحاح تتجه انظار الجميع ناحية الباب بالية تعلو الوجوه الابتسامة بينما نهى قادمة من ناحية المطبخ تضع طبق الحلو علي الترابيزة بتأنى وتتجه الي الباب لتفتح بينما الجميع يقمن بالغناء خلف الأغنية

نهي تقترب من باب الشقة والجرس يرن بلا توقف !..

***

رماد أحمر
"القلوب القادرة على الحب وإن تلاشت من جحود وخذلان وأثبت من جروح وخيبات هي الأعمر حظا في فصول زيارات الحب"
ليس بمقدورنا أن نتنقل به ما أن نهيأ له أو أعتنا عن حاجتنا إليه ليحيى فينا ما قد ذبل ويضمن ما ما انطفأ
ننتظر مجيئه في المساء مع هالة نور القمر فلا يظهر، وإن وسعنك صبرك حتى الصباح ليشرق بصحبة ضياء الشمس فلن يأتي
فارق بائك إنه ينفرد بحق اختيار القلوب، ويعرف لحظات الوصول، وترتيب المواعيد والأماكن وكافة الظروف أما عن دهشتك العظمى بعد الفرحة المجيدة التي عمرت قلبك فستكون في المتربصين بالسعداء و المتوعدين للحالمين المقاومين بفذ لهم على إخلاق الأذى و الخسائر بالغافلين من أمثالنا عن الشرور فأنهم قد يفرطوا في الزملاء وتحويل فرحة الحب إلى رماد أحمر!